بسم الله الرحمن الرحيم

من الدراسات الصوتية
ومقدمة العين

دكتور
احمد فؤاد محمود محمد عمران
مدرس أصول اللغة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
الإسكندرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فإن الدراسات الصوتية قد تقدمت تقدماً ملحوظاً فى عصرنا الحاضر ، وأصبح " علم الأصوات " علماً مستقلاً له رواده ، والمتخصصون فيه ، بل تعداهم إلى غيرهم من فئات متعددة تحتاج إلى هذا اللون من الدراسة لأنه يخدم طبيعة عملها .

ولقد فطن أجدادنا القدامى لهذه الدراسة لما لها من الأهمية الكبرى فى خدمة كتابنا العزيز " القرآن الكريم " كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فانكبوا على دراسة أصوات اللغة العربية التى بها نزل " القرآن الكريم " ، وعرفوا أهميتها وفضلها ، وعظيم قدرها لأنها حروف كتابهم المقدس يقول مكى بن أبى طالب (أبو محمد القيس) عن أهمية حروف اللغة العربية : " إنها عظيمة القدر ، جليلة الخطر ، لأن بها أفهمنا الله كتبه كلها ، وبها يعرف التوحيد ويفهم ، وبها افتتح الله عامة السور ، وبها أقسم ، وبها نزلت أسماؤه وصفاته ، وبها قامت حجة الله على خلقه ، وبها تعقل الأشياء ، وتفهم الفرائض والأحكام ، وغير ذلك من شرفها كثير لا يحصى " . (١)

من أجل ذلك كله قمت بإعداد هذا البحث وهو بعنوان من الدراسات الصوتية ومقدمة العين ، وكان هدفى منه أمران : الأمر الأول : أن أبين أصالة الدراسات الصوتية عند العرب ، وأن لهم فضل السبق والريادة فى هذا المجال .

---

(١) الرعاية لمكى بن أبى طالب ص ٧٣ .

الأمر الثانى : أن أجلى الغبار عن رائد من رواد علم الأصوات العربية الذى يظن كثير من الباحثين والمثقفين أنه من علماء النحو فقط ، وكلما ذكر " الكتاب " لسيبويه فى النحو ذكر الخليل على أنه أستاذ لسيبويه . بل إن البعض لا يعرف عنه إلا أنه واضع علم العروض فقط .

لذا آثرت أن تكون " مقدمة العين " للخليل بن أحمد مادة لدراستى ، أقدمها لطلاب العربية ، ليعرفوا قدر الخليل بن أحمد فى الدراسات الصوتية ، وإن مقدمة العين تُعدُّ بحق مادة أساسية وغزيرة فى علم الأصوات العربية .

ولهذا اشتمل هذا البحث على ما يأتى :

١ – التعريف بعلم الأصوات ومدى الحاجة إليه .

٢ – نبذة عن نشأة الدراسات الصوتية .

٣ – البحث الصوتى عند العرب . وينقسم إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : غير التخصصى ويشمل ما يلى :

أ – معالجة الدراسة الصوتية من خلال علم النحو .

ب – المعجميون وجهودهم الصوتية .

جـ – علماء القراءات والتجويد وجهودهم الصوتية .

د – البلاغيون وجهودهم الصوتية .

و – أصحاب الموسوعات الأدبية وجهودهم الصوتية .

الاتجاه الثانى التخصصى :

ولقد ذكرت من أصحاب هذا الاتجاه ما يلى :

أ - ابن جنى وكتابه " سر صناعة الإعراب " .

ب- ابن سينا ورسالته : " أسباب حدوث الحروف " .

ثم تحدثت بعد ذلك عن علماء العرب المحدثين وجهودهم فى علم الأصوات .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى دراسة المباحث الصوتية فى : " مقدمة العين للخليل بن أحمد " واشتملت على ما يلى :-

١ - نبذة مختصرة عن الخليل بن أحمد ونشأته العلمية .

٢ - الخليل وقصده من قوله : " إن الألف حرف معتل " .

٣ - طريقة الخليل فى تحديد مخارج الصوت .

٤ - ترتيبه للحروف ترتيباً صوتياً .

٥ - الخليل وتركيب الكلمة العربية .

٦ - الخليل ومسألة البدء بالسكون .

٧ - الخليل ورأيه فيما كان على حرفين إذا أريد به أن يكون اسما .

٨ - الخليل وموقفه من الأسماء التى جاءت على حرفين .

٩ - بين ثلاثية الأصول وثنائيتها .

١٠ - الخليل والحروف الذلقية والشفوية .

١١ - الخليل وأسرار حروف الذلاقة .

١٢ - الخليل وخصيصة حُسْن التأليف فى العربية .

١٣ - الخليل والحكايات الرياعيات .

١٤ – الخليل والأبجدية العربية .

١٥ – الخليل ومخارج الأصوات .

١٦ – الخليل والأوجه التى تتصرف عليها الكلمة العربية .

ولعلى بهذا البحث أكون قد قدمت شيئا فى مجال الدراسات الصوتية خدمة للغتنا العربية وإفادة لطلاب العلم والمعرفة . نسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم لقائه ، آمين يارب العالمين .

وبالله التوفيق ،

دكتـــور

أحمد فؤاد محمود محمد عمران

مدرس أصـــول اللغـــــة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

الإسكندرية

تمهيد :

(علم الأصوات ومدى الحاجة إليه)

الوحدة الصوتية هى اللبنة الأولى فى بناء النظام اللغوى ، ذلك أن أى لغة تتكون من مجموعة من الجمل ، والجملة تتكون من كلمات وكل كلمة تتكون من عدة حروف وهذا الحرف – أى الصوت – يمثل الأساس الأول فى تكوين الكلمة .

فالأصوات عنصر أساسى من عناصر اللغة ، ولذا فإن دراستها تعد الخطوة الأولى لأى دراسة لغوية " وهى كذلك بمثابة اللبنات الأساسية التى يتكون منها البناء الكبير " (١) .

وترتبط الدراسة الصوتية بمجالات متعددة ، وتحتاج إليها أنماط متنوعة من المجتمع فمن ذلك :

١ – الدراسة الصوتية مهمة للباحث اللغوى ، فهو لا يستطيع دراسة أى لغة أو لهجة إلا بوصف أصواتها يقول الدكتور السعران : " لا يمكن الأخذ فى دراسة لغة ما أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية " (٢) ، ويقول فى موضع آخر " يجب على دارسي الأصوات اللغوية أو عالم اللغة بوجه عام أن تتوفر له القدرة على وصف جميع الأصوات الكلامية الخاصة بأى لغة من اللغات " (٣) .

٢ – وضع أبجديات لكثير من اللغات :

للدراسة الصوتية أثر كبير فى وضع الأبجديات للغات التى لم تكتب بعد " فالصوت يجعل من الممكن إعطاء رموز مفصلة لكل كلمة – فى اللغة كما هو الحال

---

(١) علم اللغة العام الأصوات د / كمال بشر ص ١٨٤ .
(٢) علم اللغة د / محمود السعران ص ١٣٣ .
(٣) نفسه ص١٥٤ .

فى الصينية وإن كان من الملاحظ أن ذلك يؤدى إلى ايجاد عدد ضخم من الرموز لا يسهل تعلمه " [1] .

" والأبجديات فى عمومها يجب أن تراعى عند وضعها الأول أن تمثل النطق تمثيلاً صادقاً ، قدر المستطاع ، والمشهور أن كل الأبجديات المعروفة لنا الآن قد روعى فيها هذا المبدأ بالفعل . لكن اللغة بمرور الزمن يصيبها التغيير والتطور . على حين تبقى الأبجدية على صورتها الأولى دون تغيير عادة . ومن ثم يظهر فيها نوع من القصور " [2] .

ولقد لاحظ الدكتور بشر نوعين لهذا القصور :

الأول : يتمثل فى عدم قدرة الأبجدية على تمثيل النطق تمثيلاً صادقاً ، بسبب التطور الذى يلحق أصوات اللغة على مر الزمن ومن أمثلته فى الانجليزية الصوت القصوى الانفجارى المهموس (K) تصوره الأبجدية الإملائية مرة بحرف (K) ومرة ثانية بالرمز (C) وثالثة بالرمز (Q) ورابعة بالرمزين (Ch) وأمثلة هذه الحالات بالترتيب هى (Character, Queen, Cat, Kill) وأمثلة هذه الحالة موجودة أيضا فى اللغة العربية وإن كان ذلك فى حدود ضيقة ، من ذلك مثلا كتابة الفتحة الطويلة برمز الياء ، كما فى نحو رمى ، فهذا تصوير مضلل من الناحية الصوتية الصرفة ، إذ طبيعة الصوت توجب كتابته بالألف (أى رما مثل غزا) .

الثانى : وجود رموز فى هذه الأبجديات دون وجود مقابل صوتى لها فى الكلام المنطوق . واللغة الإنجليزية مملوءة بأمثلة هذا النوع . ومن أمثلته فى الإنجليزية الرمز (K) فى كلمة (Knight) وهناك من هذا النوع فى اللغة العربية أمثلة قليلة جداً ، كما فى نحو رموا ، وعمرو حيث كتبت الألف فى نهاية رموا ،

---

(١) الصوت اللغوى د / أحمد مختار عمر ص ٢٥١ .
(٢) علم اللغة العام الأصوات د / كمال بشر ص ٨١ .

والواو فى نهاية عمرو دون حاجة صوتية تدعوا إلى ذلك "[1] وإن كان هناك حاجة دلالية إلى ذلك فالحاجة الدلالية كالحاجة الصوتية تماماً بتمام .

٣ – للدراسة الصوتية أهمية قصوى فى نحو اللغة وصرفها وبلاغتها :

فالنحو يتألف من عناصر صوتية وأيضا عناصر صرفية فلا غنى فى نحو اللغة عن الأصوات وكذلك الصرف ، "وهذا يعنى من الناحية المنهجية ضرورة ربط النحو ربطا وثيقاً بعلم الأصوات والصرف "[2] . أما بالنسبة للصرف فلا نستطيع دراسته دراسة صحيحة إلا إذا وصفناه وصفاً صوتياً ، "فدراسة الأصوات هى المقدمة الأولى لدراسة تركيب الكلمات (Morphology) أو دراسة الصرف بمعناه الخاص "[3] .

كما أن علم الأصوات يؤثر فى معنى التراكيب وقيمتها .

٤ – للدراسة الصوتية أهمية كبرى وصلة قوية بالدراسة المعجمية ، ولذا وجدنا أن معظم المعاجم العربية تحتوى على مقدمات طويلة عن أصوات اللغة العربية مما يدل على أهمية الأصوات لمثل هذه الدراسة .

٥ – للدراسة الصوتية أهمية كبرى للمشتغلين بوسائل الإعلام الذين لهم تأثير قوى فى الجماهير مما يبثونه فى الأجهزة المسموعة والمقروءة والمرئية ، فيجب أن يكونوا على دراية بالنطق السليم للأصوات اللغوية ، وأيضا فى كتابتهم حتى ينقلوا صورة صحيحة للجماهير عن اللغة التى يتعاملون بها ، فلا ننسى الأثر الكبير الذى ينعكس على الشعب فى تلقى الأصوات وطرائق النطق من أفواه هؤلاء ، ونحن نلاحظ تحريف بعض الأصوات على لسانهم فالقاف – تنطق – على

---

(١) علم اللغة العام الأصوات ص ١٨٢ .
(٢) نفسه ص ١٨٧ .
(٣) أصوات اللغة د / عبد الرحمن أيوب ص ٢٥ طبعة دار التأليف الطبعة الأولى .

لسانهم قريبة من الكاف والظاء قريبة من الزاى ، ويظن أبناء الشعب أن نطقهما - بهذه الصورة - تحضر فى الأساليب العربية " [1] ، " وعن طريق دراسة الأصوات يمكن التمثيل والإيقاع حسب الحزن أو الفرح أو غيرهما من مقتضيات الكلام " [2] .

٦ - الدراسية الصوتية مهمة لتعليم اللغة للأجانب : فلابد من تعلم كل النظام النطقى للغة المتعلمة بما فى ذلك من تنغيم وظواهر موسيقية فإذا كانت لغة المتعلم الأصلية تملك نظاماً من خمس علل والأجنبية نظاماً من سبع علل مثلا فمع صعوبة تعليم فونيمىّ العلة الزائدتين توجد صعوبة الاضطراب والخلط ، وعدم التمييز بين الفونيمات ، وبدون معرفة علم الأصوات قد لا تجدى الإقامة بين أبناء اللغة فى اكتساب النطق السليم كما أثبتت التجارب ذلك . [3]

٧ - الدراسية الصوتية مهمة لتعليم الصم والبكم : سواء كانوا ثقيلى السمع أو ولد أحدهم أصم أو أصيب فى وقت متأخر فيمكن - بالاعتماد على الدراسة الصوتية - تعليم طرائق خاصة بنطق الأصوات حتى يفهموا تعبيرات المتكلمين [4] ومن ذلك التجارب والأبحاث التى أجريت لتحديد معايير للسمع وتعيين درجات للصم ، وأنواع الاستخدام للأذن السليمة والمريضة عند ترددات مختلفة فى العملية الكلامية مما ساعد على تطوير الوسائل المعينة على السمع لتكون أصلح . [5]

---

(١) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال ص ١٩ .
(٢) علم اللغة للدكتور السعران ص ١٣٦ .
(٣) الصوت اللغوى د / أحمد مختار ص ٣٤٩ : ٣٥٠ .
(٤) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال ص ٢٠ .
(٥) الصوت اللغوى د / أحمد مختار عمر ص ٣٥٢ : ٣٥٤ بتصرف .

نبذة عن نشأة الدراسات الصوتية :

لقد خلق الله الإنسان وزوده بنعمة البيان - وهى الإفصاح عما فى النفس - قال تعالى : ﴿ خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [1] ، وخصيصة الإفصاح تتجلى مظاهرها بالكلام الإنسانى الذى يستطيع الإنسان عن طريقه أن يتعامل مع أفراد جنسه ، ولذا اهتم الإنسان بهذه الخصيصة منذ القدم وشغل بها وفكر فى أمرها وكنهها ، وحاول أن يفسر ظواهرها وقوانينها .

ولا نستطيع على وجه التحديد أن نحدد الفترة الزمنية التى اشتغل العلماء فيها بهذا العلم ، وأولوا الدراسات الصوتية جُلّ اهتمامهم .

لكن الذى نستطيع أن نجزم به هو أن هذا العلم قد اشتغل به العلماء منذ القدم ، " وهو علم ليس بالجديد فى الدراسات اللغوية ، وإنما تضرب أصوله بعيداً إلى أعماق التاريخ " [2] .

ولقد اختلفت أقوال العلماء فى مَنْ هُمْ أول مَنْ عَرفوا الكتابة فى صورتها الأبجدية ؟

أ - فمن قائل : بأن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين يقول الدكتور عبد الحميد أبو سكين : " وإن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين . فأقدم صور الكتابة أو الخط يتضمن كل منها إدراكا لأصوات لغة من اللغات إذ تحاول أن تمثلها بعلامات كتابية منظورة " [3] .

ب - ومن قائل بأن الأكاديين [4] هم أول من عرفوا الكتابة بالحروف

---

(١) سورة الرحمن الآيتين : ٣ ، ٤ .
(٢) علم اللغة العام الأصوات د / كمال بشر ص ١٦٧ .
(٣) دراسات فى التجويد والأصوات اللغوية ص١٨ ، علم اللغة د / السعران ص ٩١ .
(٤) الأكاديون هم قوم من الساميين عاشوا فى أرض العراق القديم بعد أن تغلبوا على السومريين وتعرف لغتهم باسم اللغة الأكادية نسبة إلى مدينة أكادا فى شمال بابل القديمة التى اتخذوا منها عاصمة لملكهم " . انظر مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / البركاوى هامش ١ ص ٧ .

الصامتة والحركات أو هم قد ورثوها من السومريين [1] فهناك وثائق تاريخية عثر عليها فى أرض الرافدين " العراق تشير إلى ذلك . ويرجع تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد وتدل هذه الألواح على أمرين فى غاية الأهمية هما :

١ - أن السابقين القدماء كانوا أول من عرف الدرس اللغوى فى صورة تكاد تشبه الآن وضع معاجم متعددة اللغة إذ تضمنت هذه الألواح ألفاظاً أكادية وما يقابلها من اللغة السومرية وبخاصة ما يتعلق من ذلك بالألفاظ القانونية .

٢ - أن الطريقة التى كتبت بها هذه الألواح تشير إلى إدراك الأكاديين للفرق بين عنصرى الأصوات الرئيسيين وهما الحروف الصامتة والحركات إذ أن الكتابة الأكادية كتابة مقطعية تسجل المقطع الصوتى كاملاً بما تشتمل عليه من صوامت وحركات ، وقد انفردت الكتابة الأكادية بهذه الميزة من بين كافة الكتابات السامية القديمة التى اكتفت بكتابة الحروف الصامتة فقط . [2]

جـ - ومن قائل بأن اليونانيين القدماء هم أول أمة كتبت الحركات أو عرفت نظام المقاطع الصوتية . [3]

د - ومن قائل بأن النظام الكتابى أخذه الإغريق عن الساميين ، وقد انتقل إلى الرومان عن طريق الإغريق .

وهذا الرأى الأخير هو الأرجح ، وذلك لاتفاق العلماء على أن الأبجدية

---

(١) السومريون : أمة قديمة كانت تسكن بلاد العراق قبل أن يفد إليه الأكاديون وقد تركوا فى اللغة الأكادية بعض الآثار اللغوية المهمة لأنهم عايشوا الأكاديين فترة من الزمن ثم اختفت آثارهم منذ النصف الثانى من الألف الثالث قبل الميلاد . انظر مقدمة فى أصوات اللغة العربية د . البركاوى هامش ٣ ص ٨ .

(٢) ينظر : مقدمة فى أصوات اللغة العربية ص ٧ : ٨ ، الفكر الصوتى فى التراث العربى د/ محمد عزت القناوى ص ١٣ .

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / بركاوى ص ٧ : ٨ .

الفينيقية – وهى سامية قديمة – هى أصل الأبجديات فى العالم كله ويحدد زمن نشأتها بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد . (١)

البحث الصوتي عند العرب :

اهتم العرب بالدراسات الصوتية رغبة منهم فى المحافظة على كتابهم المقدس القرآن الكريم ، وخوفاً عليه من اللحن والتحريف .

ولذا نجد روعة ما توصل إليه العرب فى هذا المجال ، ودقة ما أظهروه من نتائج وحقائق علمية كانت بمثابة الشمعة التى أضاءت الطريق لغيرهم فى هذا الميدان ويؤكد هذا أحد علماء الغرب وهو العلامة " فيرث " فيقرر أن علم الأصوات نشب ونما فى أحضان لغتين مقدستين هما : العربية والسنسكريتية كما صرح برجشتراسر بأنه لم يسبق الغربيين فى هذا المجال إلا قومان : العرب والهنود . (٢)

والدراسة الصوتية عند العرب لم تكن مستقلة عما عداها من علوم اللغة ، بل كانت فى أول أمرها متناثرة فى كتب اللغة والنحو والبلاغة وغيرها .

ومن هنا فإنه يمكننا القول بأن الدرس الصوتى قد اتخذ اتجاهين :

أولهما : اتجاه غير تخصصي :

وأقصد به الاتجاه الذى عولجت فيه المباحث الصوتية من خلال العلوم الأخرى ، ولم يخصها علماء اللغة القدامى بدراسة مستقلة ومن أمثلة ذلك :

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / البركاوى ص ٧ : ٨ ، د / فتحى الدابولى ص ٢٦ ، البحث اللغوى عند العرب د / أحمد مختار ص ٦٠ .

(٢) التطور النحوى للغة العربية برجشتراس ص ١١ ترجمة د / رمضان عبد التواب ، ومعالم الأصوات العربية د / صلاح قنارى ص ٣٠ ، د / عبد المنعم عبد الله محمد ، والتفكير الصوتى فى التراث العربى د / محمد عزت القناوى ص ٢٧ .

١ - معالجة الدراسة الصوتية من خلال علوم النحو :

ونذكر هنا " الكتاب " لسيبويه ت (١٨٩هـ) حيث عقد فيه باباً للإدغام عالج فيه مسائل صوتية كثيرة وكانت بمثابة الأساس الذى اعتمد عليه غيره فى هذه الدراسة ، أو ردَّدوا أقواله دون إضافة ذى بال .

ولقد تكلم سيبويه عن مخارج الحروف وجعلها ستة عشر مخرجاً موزعة على الحلق ، واللسان ، والشفتين ، وقسم الحلق إلى ثلاث مناطق :

أ - أقصى الحلق ، ويخرج منه الهمزة والهاء والألف .

ب وسط الحلق ، ويخرج منه العين والحاء .

جـ - أدنى الحلق ، ويخرج منه الغين والخاء .

ولقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة صحة ما توصل إليه سيبويه . كما قَسَّم اللسان ثلاثة مناطق :

أ - أقصى اللسان وهى المنطقة القريبة من الحلق ويتكون فيها صوتان هما القاف ، والكاف . فقال : ومن أقصى اللسان ومافوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مُخْرج الكاف .

ب - وسط اللسان ، ويخرج منه الجيم الشين والياء .

جـ - أدنى اللسان ويخرج منها معظم الأصوات اللغوية ، وقد حرص على تحديد مخرج كل حرف فقال : ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد . ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام . ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها

من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مُخْرج النون . ومن مُخْرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مُخْرج الراء . ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخْرج الطاء والدال والتاء . ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخْرج الظاء والذال والثاء .

د – أصوات شفوية : وهى الأصوات التى تتكون بين الشفتين ، وحصرها فى الفاء والباء والميم ، والواو ، إلا أنه اعتبر الفاء شفوياً أسنانيا ، فقال : ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مُخْرج الفاء . ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو . ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة . ثم تحدث بعد ذلك عن صفات الأصوات كالجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والإطباق ، والانفتاح .... الخ ، وحصر الحروف المهجورة فى تسعة عشر حرفاً وهى : الهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاى ، والظاء ، والذال ، والباء ، والميم ، والواو ، ثم حصر الحروف المهموسة فى عشرة أحرف ، وهى : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والسين ، والتاء ، والصاد ، والثاء ، والفاء . وعرف المجهور بقوله : " حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ، ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت " .

وعرف المهموس بقوله : " وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه " . ثم ذكر أن من الحروف ما هو شديد وما هو رخو ، وعرف الشديد بقوله : " وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة ، والقاف والكاف ، والجيم ، والطاء ، والتاء ، والدال ، والباء ، ثم ذكر الحروف الرخوة وهى : الهاء ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والزاى ، والسين ، والظاء ، والثاء ، والذال ، والفاء .

وذكر أن علامة الرخو أنك إذا نطقت به ، ومددت صوتك فيه جرى الصوت فتقول : الطَّسُّ وانْقَضْ . أمَّا الشديد : فإنك إذا نطقت به ومددت به صوتك لم يجر ذلك . ثم ذكر أن " العين " حرف متوسط بين الشدة والرخاوة . وذكر بعض الصفات التى لا ضِدَّ لها ، وذكر منها الصوت المنحرف – وهو الميل بالحرف عن مخرجه إلى مخرج غيره – وقال عنه : هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وذكر أنه حرف " اللام " .

وذكر المكرر وهو – ارتعاد رأس اللسان أى اهتزازه عند النطق بالحرف ، وقال عنه : إنه حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام .

وذكر الحروف اللينة وهى الواو والياء وقال : " لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ، فمعناه إخراج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم كلفة على اللسان . وذكر الحرف الهاوى وهو الألف ، وقال عنه : وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو مُعَلِّلاً لذلك بقوله : لأنك قد تضم شفتيك فى الواو وترفع لسانك قِبل الحنك .

وتكلم عن الحروف (المطبقة والمنفتحة) ، وحصر المطبقة فى حروف الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، وقال عن المنفتحة بأنها : كل ما سوى ذلك من الحروف معللاً لذلك بقوله : لأنك لا تطبق لشىء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى . وقال عن الحرف المطبقة : " وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك فى مواضعهن انطبق لسانُك من مواضِعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى مواضع الحروف . (١)

(١) الكتاب : لسيبويه جـ٤ ص ٤٣٣ : ٤٣٦ طبعة عالم الكتب الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

وبعد هذا التفصيل لما ورد فى الكتاب لسيبويه عن صفات الحروف نستطيع أن نقول : إن إمام العربية سيبويه قد توصل إلى نتائج علمية سديدة فى مخارج الحروف وصفاتها دون أن يستعين بالآلات الحديثة التى ظهرت فى العصر الحاضر ، وأتت معلومات المحدثين توافق ما قاله ، يقول بعض علماء اللغة المحدثين : " بهذا يكون سيبويه قد أحس مع المجهور والمهموس ، ومع الشديد والرخو ، بما يحس بها الدارسون للأصوات من المحدثين ، دون أن يكون على علم بالناحية التشريحية من وجود وترين صوتيين بالحنجرة يقومان بوظيفة معينة مع بعض الأصوات " . (١)

ثم يأتى كتاب المقتضب للمبرد ، والمفصل للزمخشرى وهذان الكتابان تعرضا أيضا فى باب الإدغام إلى بعض الدراسات الصوتية ولم يزيدا على ما ذكره سيبويه شيئا ذا بال . (٢)

المعجميون وجهودهم الصوتية :

ونقصد بهم أصحاب المعجمات اللغوية وعلى رأسهم الخليل بن أحمد فى معجمه " العين " ، وابن دريد فى معجمه " الجمهرة " ، والأزهرى فى معجمه " تهذيب اللغة " وغيرهم ، وإذا عدنا إلى الخليل بن أحمد فإنه يعتبر بحق أول المؤسسين " لعلم الأصوات العربية " وعنه أخذ تلميذه سيبويه كل أفكاره وآرائه الصوتية وغيرها . وتعتبر مقدمة العين للخليل بن أحمد مادة دسمة فى علم الأصوات ، وسوف نتعرض لها بالتفصيل والشرح والتحليل والمقارنة – إن شاء الله تعالى – ؛ لأنها موضوع دراستنا .

أما الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) فى تهذيبه فلقد سار فيه على مدرسة التقليبات

---

(١) الأصوات اللغوية د/ابراهيم أنيس ص ١٢٦ الطبعة الخامسة ١٩٧٩ مكتبة الأنجلو المصرية .
(٢) ينظر المقتضب ١/٣٢٧ : ٣٣٢ ، والمفصل فى علم العربية ص ٣٩٣ : ٣٩٦ .

الصوتية التى اخترعها الخليل دون أن يقدم جديداً يقول الدكتور نصار : " ولكنه – أى الأزهرى – اتبع المنهج الذى وضعه الخليل فى مقدمة العين بحذافيره . فالتزم ترتيب المخارج الذى ابتكره الخليل فى العين " . (١)

أما ابن دريد ت (٣٢١هـ) فى معجمه الجمهرة فقد بدأه ببحوث صوتية مهمة منها (باب صفة الحروف وأجناسها) ذكر فيه أن للحروف لقبين المصمتة والمذلقة ، وذكر أن المذلقة ستة أحرف ، والمصمتة اثنان وعشرون حرفاً ، ثلاثة منها معتلات وتسعة عشر حرفاً صحاح ، ثم تكلم بعد ذلك عن الحروف المذلقة مبيناً أن لها جنسين ، جنس الشفة وحروفها الفاء ، والميم ، والباء ، والجنس الثانى بين موضعه ، وهو بين أسلة اللسان إلى مقدم الفار الأعلى وحروفه الراء ، والنون ، واللام ، ثُمَّ يُعَلِّل التسمية للحروف المذلقة بقوله : " لأن عملها فى طرف اللسان ، وطرف كل شىء ذلقه " ، ويعلل للمصمتة بقوله : " لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان " ، ثم ذكر بعد ذلك باباً باسم (باب مخارج الحروف وأجناسها) ذكر فيه عدد الحروف فى العربية ، وأنها تسعة وعشرون حرفاً ثم تحدث عن مخرج كل حرف منها ، وذكر ما يأتلف من الحروف وما لا يأتلف منها معللا لذلك تعليلاً صوتيا عندما قال : " واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت " (٢) .

٣ – علماء القراءات والتجويد وجهودهم الصوتية :

أما علماء القراءات والتجويد فلهم الفضل الكبير والأثر العظيم فى الدراسات الصوتية لأننا نعرف أن التجويد والقراءات ما هما إلا تطبيق عملى لعملية خروج الصوت من مخرجه السليم مع إعطائه حقه ومستحقه ، ولقد أمر الله

---

(١) المعجم العربى نشأته وتطوره د / حسين نصار جـ ١ ص ٣٣٥ دار مصر للطباعة .
(٢) الجمهرة لابن دريد ١/٦ : ٩ .

المسلمين بترتيل القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ [1] . وجاء عن على رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ فقال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف " [2] ، كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : " جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربى والله يحب أن يعرب به " [3] ، " ولقد ظهر علم القراءات مبكراً ، وتفانى علماؤه فى خدمته منذ نزول الحديث المشهور فى البخارى ومسلم " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه " [4] .

ولقد كان أول من صنف فى القراءات وجمعها فى كتاب الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، ثم جاء بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفى (ت ٢٥٨ هـ) ، ثم جاء بعده إسماعيل بن إسحاق المالكى (ت ٢٨٢ هـ) . [5]

ولقد جاء فى كتب القراءات بحوث صوتية نذكر منها ما جاء فى كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) حيث تكلم فيه عن مخارج الحروف ، وصفاتها وطرق القراءة وغيرها من المباحث الصوتية المهمة .

٤ - البلاغيون وجهودهم الصوتية :

ونقصد بهم علماء البلاغة الذين صرحوا فى كتبهم ببحوث صوتية قيمة منها تلائم الحروف أو تنافرها أى - قرب مخارج الحروف أو بعدها ، فقرب مخارج الحروف يؤدى إلى الثقل اللفظى فى نطق الحروف ، وبُعْد المخارج يؤدى إلى السهولة ، وغير ذلك من معلومات قيمة كلها من صميم الدراسة الصوتية .

---

(١) المزمل بعض آية رقم ٤ .
(٢) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢٠٩/١ .
(٣) نفسه ٢١٠/١ .
(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / الدابولى ص ٣٣ .
(٥) تقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ص ٢٣ : ٢٤ الطبعة الثانية ١٩٩٢م .

ونذكر من هؤلاء الإمام أبا بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) فى كتابه إعجاز القرآن حيث تعرض فى فصل تحت عنوان - فى جملة وجوه إعجاز القرآن - عن حروف اللغة العربية ومخارجها ، وعدد السور التى افتتح فيها بذكر الحروف وبين أن عددها ثمان وعشرون سورة ، ثم تعرض لصفات الحروف من الجهر والهمس ، وعرف كلا منهما والحروف الشديدة وغير الشديدة ، والحروف المطبقة ، وطبق ذلك على الحروف المبدوء بها السور . وقال عن سر البدء بحروف المقطع فى أوائل السور : " إذا كانت حروفاً كنحو (الم) لأن الألف المبدوء بها هى أقصاها ، مطلقا ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة ، لأنها تأخذ فى الشفة . فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التى تتردّد بين هذين الطرفين " . (١)

• - أصحاب الموسوعات الأدبية وجهودهم الصوتية :

نذكر من هؤلاء الجاحظ فى كتابه " البيان والتبيين " حيث تعوذ بالله أولاً من بعض عيوب النطق ومنها " العِىّ ، والحصَر " ، والعِىّ هو فقدان الإبانة عما يخالج النفس ، والحَصَر : هو محاولة التعبير وانعقاد اللسان عن المراد (٢) . ثم تكلم بعد ذلك عن هذه العيوب مبيناً أنها تؤثر على سلامة نطق أصحابها ، وتفقدهم التأثير على السامعين فلنستمع إليه يقول : " وليس اللَّجْلاَج والتُّمْتَام ، والألثغ والفأفاء وذو الحُبسة والحُكلة ، والرُّتّة وذو اللَّفف والعجلة فى سبيل الحَصِر فى خطبته " (٣) .

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٤٤ : ٤٦ تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر الطبعة الرابعة دار المعارف .

(٢) ينظر : هامش ٣ ص ١٦ البيان والتبيين .

(٣) نفسه ص ٢٦ " واللجاج : الذى يتلجلج فى الكلام . والتمتام : الذى يردد لسانه حرفى التاء والميم . والألثغ هو الذى لا يستطيع لسانه أن يلفظ حرفى السين والراء وغيرهما . والفأفاء الذى يردد حرف الفاء فى كلامه عيا وحصرا " هامش ٦ ص ٢٦ تحقيق وشرح الأستاذ / حسن السندوبى .

وبين أيضا أن العرب كانوا يكرهون آفات النطق ، وأن صاحبها لا حَظَّ له فى الحياة يقول : " قال ابن الأعرابى : طلّق أبو رَمادة امرأته حين وجدها لَثْغَاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ [1] وذكر فى موضع آخر أنهم كانوا يفضلون الخالى من هذه العيوب على المبتلى بها عندما ذكر قصة خطيب اسمه الجمحى أصاب فى خطبته ولكنه كان نازعاً بعض أسنانه فكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيد بن على بن الحسين بكلام فى جودة كلامه إلا أنه فَضَّله بحسن المخرج والسلامة من الصفير " . [2]

كما تعرض للكنة التى تبدو فى كلام الأعاجم إذا نطقوا بالعربية وأوضح أن حروف الكلام إذا تمكنت من الألسنة فمن الصعب تغييرها وضرب لذلك بعض الأمثلة عندما قال : " ألا ترى أن السندىّ إذا جُلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام فى عُليا تميم وسُفلى قيس وبين عَجُز هوازن خمسين عاما ؟ " . [3]

وكذلك النَّبَطِىّ القُحّ خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط ، لأن النبطى القح يجعل الزاى سينا ، فإذا أراد أن يقول : زورق ، قال : سورق . ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول : مُشْمَعِلٌّ ، قال : مُشْمئل .

والنُّخَّاس [4] يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها

---

(١) نفسه ٦٤/١ .

(٢) نفسه ص ٦٥/١ .

(٣) جاء فى الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٣٥/١ عند تفسير كلام ابن عباس " نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن " قال : والعَجُز : سعد بن بكر وجُشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وهؤلاء كلهم من هوازن ويُقَال لهم عُليا هوازن ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب – عُليا هوازن وسُفلى تميم – يعنى بنى دارم " .

(٤) المقصود به هنا : بائع الجوارى جاء فى اللسان : " والنُّخاس : بائع الدواب ، سُمِّى بذلك لنَخْسه إيَّاها حتى تنشط وحرفته النُّخَاسة والنِّخاسة ، وقد يسمى بائع الرقيق نَخَّاساً ، والأول هو الأصل " مادة : نخس .

مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ثلاث مرات متواليات . ويضرب نماذج للشعراء والخطباء المصابين باللكنة ويعد منهم : زياد بن سُليمان أبا أمامة ، وهو زياد الأعجم قال أبو عبيدة كان ينشد قوله :

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فى الوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلِ

قال : كان يجعل السين شيناً والطاء تاءً فيقول :

فَتَى زاده الشُّلْتانُ فى الود رفعة

ومنهم سُحَيم عَبْد بنى الحَسْحَاس ، قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده قصيدته التى أولها :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غادِيا كَفَى الشَّيْبُ والإِسْلام للمرء ناهيا

لو قَدَّمْتَ الإسلام على الشيب لأجزتك " قال : ما سعرت : يريد ما شعرت فجعل الشين المعجمة سينا غير معجمة .

ومنهم عُبَيْد الله بن زياد وَالِى العراق ، قال لِهَانىء بن قبيصة : أحرورى سائر اليوم ؟ يريد : أحَرُورِىٌّ .

ومنهم صُهَيب بْنُ سِنَان النَّمرِىّ صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : إنك لهائن . يريد : إنك لخائن . وصهيب بن سنان يرتضخ لكنة رومية ، وعُبَيد الله بن زياد يرتضخ لُكنة فارسية . وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء ... وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال : أكتب : ألها صل ألف كُرّ [1] .

---

(١) الكُرّ : مكيال لأهل العراق ، وفى حديث ابن سيرين : إذا بلغ الماء كُرّاً لم يَحْمِلْ نَجساً ، وفى رواية إذا كان الماء قَدْر كُرّ لم يحمل القَذَر ، والكُرّ : ستة أوقار حمار ، وهو عند أهل العراق ستون قفيزاً " . اللسان : مادة : كرر .

فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها ، فأعاد عليه الكلام ، فأعاد عليه الكاتب . فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال : أنت لا تُحْسِنِ أن تكتب . وأنا لا أحْسِنِ أن أُمْلِي ، فاكتب الجاصل ألف كُرّ ، فكتبها بالجيم المعجمة .

ومنهم أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة إلى الدولة العباسية كان جيد الألفاظ جيد المعاني ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : كُلت له . فشارك في تحويل القاف كافاً عُبَيْد الله بن زياد " . (١)

ويقول أحد علماء اللغة المحدثين عن تجربة الجاحظ الصوتية : " ومنهج الجاحظ في هذه التجربة الصوتية يُعَدُّ أحدث منهج متبع الآن ، وهو أن يقوم الباحث بأخذ عينة من المادة اللغوية المدروسة ثم يجرى عليها تجاربه ويقوم باستخلاص النتائج منها ثم إصدار الحكم وتعميمه على غير هذه الظواهر المدروسة " . (٢)

الاتجاه الثاني : التخصصي :

وهو الاتجاه الذى عولجت فيه المباحث الصوتية بطريقة مستقلة ، وأصحابها أفردوا المؤلفات الخاصة التى تتعلق بدراسة الأصوات ونذكر من أصحاب هذا الاتجاه ابن جنى (ت٣٩٢هـ) وكتابه " سر صناعة الإعراب " ، وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) في رسالته المسماة بـ " أسباب حدوث الحروف " .

ابن جني وكتابه " سر صناعة الإعراب " :

لقد ألف ابن جنى كتابه هذا ، لدراسة أصوات اللغة العربية دراسة شاملة ،

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٧٣/١ : ٧٦ تحقيق وشرح الأستاذ حسن السّندوبى المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٢م .

(٢) البحث اللغوى عند العرب د / أحمد مختار عمر ص ٩٨ .

وعنى بها عناية فائقة ، وبذل فيها مجهوداً كبيراً ، " ويُعدُّ حديث ابن جنى عن الأصوات أعظم حديث عربى صوتى ، وقد أفاد منه المحدثون من الغربيين أيما إفادة ، بل إن ابن جنى قال منذ ألف سنة ما لم يتوصل إليه علماء الأصوات إلا فى عصرنا هذا " . (١)

وقال عنه باحث آخر : " أما ابن جنى فبدلاً من أن يتناول الموضوع تناولاً عابراً - كغيره من سابقيه أفرغ جهداً كبيراً يضفى على البحوث الصوتية لوناً من القوة وبين أنها دراسة لغوية مهمة ، يجب على عالم اللغة أن يضعها فى الاعتبار ، ولذلك أفرد لها كتاباً خاصاً هو " سر صناعة الإعراب " ومعظم الآراء التى ساقها ابن جنى فى كتابه هذا نالت إعجاب المستشرقين وعلماء اللغة الأوربيين " (٢) .

وقد أفادنا ببيان الغرض من كتابه عندما قال إنه يضع : " كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم ، وأحوال كل حرف منها ، وكيف مواقعه فى كلام العرب " . (٣)

ثم قال : " وأذكر أحوال هذه الحروف فى مخارجها ومدارجها ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورِخْوها ، وصحيحها ومعتلها ، ومطبقها ومنفتحها ، وساكنها ومتحركها ، ومضغوطها ومهتوتها ، ومنْحَرِفها ومُشْرَبها ، ومستويها ومكرَّرها ، ومُسْتَعْلِيها ومنْخَفضها ، إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها ، وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة ، وأين محل الحركة من الحرف ، هل هى قبله ، أو معه ، أو بعده ؟ وأذكر أيضا الحروف التى هى فروع مستحسنة ، والحروف التى هى فروع مستقبحة ، والحركات التى هى فروع متولدة

(١) مقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى للأستاذ / عز الدين التنوخى ص ١٧ .
(٢) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال ص ١٠ الطبعة الثانية ١٩٨٨م .
(٣) سر صناعة الإعراب لابن جنى ١/٣ .

عن الحركات ، كتفرع الحروف عن الحروف ، وأذكر أيضا ما كان من الحروف فى حال سكونه له مَخْرج ما ، فإذا حُرِّك أقلقته الحركة ، وأزالته عن محله فى حال سكونه . وأذكر أيضا أحوال هذه الحروف فى أشكالها ، والغرض فى وضع واضعها ، وكيف ألفاظها ما دامت أصواتاً مُقَطَّعةً ، ثم كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معربة ... " .(١)

ويمكن أن نلخص مادة الكتاب فيما يلى :

١ – كلامه عن الصوت والحرف ، والفرق بينهما ، وذوق أصوات الحروف .

٢ – كلامه عن الحركات وأنها أبعاض حروف المد .

٣ – كلامه عن حروف المعجم من حيث عددها وترتيبها ومخارجها واصفاً إيَّاها – الحروف – وصفاً تشريحياً دقيقاً .

٤ – بيان الصفات العامة للحروف ، وانقسامها إلى أقسام مختلفة .

٥ – كلامه على حسن التأليف فى البنية العربية ، وما يأتلف من الحروف وما لا يأتلف فمن ذلك قوله : " واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت فى التأليف كانت أحسن ، وإذا تقارب الحرفان فى مخرجيهما قَبُح اجتماعهما ، ولاسيما حروف الحلق ، ألا ترى إلى قلتها بحيث يكثر غيرها " .(٢)

٥ – حديثه عن كل حرف من حروف المعجم بالتفصيل والتحليل مبينا ما يعرض له من تغيير كالنقل والحذف والإعلال والإبدال وغيرها من وجوه التغيير .

ثم عقد بعد ذلك ثلاثة فصول :

---

(١) نفسه ١/٥٠٤ .
(٢) سر صناعة الإعراب ١/٦٥ .

تحدث فى الفصل الأول عن : تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها هى غير مشتقة ولا متصرفة . [1]

وذكر منها ما كان على حرفين . [2]

وما كان منها على ثلاثة أحرف . [3]

وفى الفصل الثانى تحدث عن مذهب العرب فى مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز من ذلك ، وما يمتنع ، وما يحسن ، وما يقبح ، وما يصح - وكلها أمور صوتية ذكر منها :

١ - حروف المعجم قسمان : خفيف وثقيل . [4]

٢ - أخف الحروف حروف الزيادة . [5]

٣ - أقل الحروف تآلفاً بلا فصل حروف الحلق . [6]

٤ - أحسن التأليف ما بُوعِدَ فيه بين الحروف . [7]

٥ - حروف أقصى اللسان لا تتجاور ألبتة ، وهى القاف والكاف والجيم . [8]

٦ - الحروف فى التأليف على ثلاثة أضرب :

أ - تأليف المتباعدة ، وهو الأحسن .

ب - تضعيف الحرف نفسه ، وهو يلى القسم الأول فى الحسن .

جـ - تأليف المتجاورة ، وهو دون الاثنين الأولين ، فإما رفض البتة ، وإما قل استعماله . [9]

---

(١) نفسه ٢/٧٨١ : ٧٨٤ .
(٢) نفسه ٢/٧٨٥ .
(٣) نفسه ٢/٧٩٨ .
(٤) نفسه ٢/٨١١ .
(٥) نفسه ٢/٨١١ .
(٦) نفسه ٢/٨١٢ .
(٧) نفسه ٢/٨١٤ .
(٨) نفسه ٢/٨١٤ .
(٩) نفسه ٢/٨١٦ .

٧ – حروف الصفير لا يتركب بعضها مع بعض . [١]

٨ – الطاء والدال التاء لا يتركبن إلا أن تتقدم الطاء والتاء على الدال . [٢]

ثم ختم الكتاب بفصل تحت عنوان : " إفراد الحروف فى الأمر ونظمها على المألوف من استعمال حروف المعجم " . [٣]

وقبل أن نترك ابن جنى أفضل أن أسجل ما قاله الدكتور كمال بشر عنه عندما قال : " أما وصف ابن جنى للمخارج بالصورة التى سجلها فى كتابه وترتيبه لهذه المخارج فهو يدل على قوة ملاحظته وذكائه النادر .

والحق أن النتائج التى وصل إليها هذا العالم فى هذا الوقت الذى كان يعيش فيه لتعد مفخرةً له ولمفكرى العرب فى هذا الموضوع . ومما يؤكد براعتهم ونبوغهم فى هذا العلم أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من حقائق مدهشة دون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة كما نفعل نحن اليوم " .[٤]

ابن سينا ورسالته " أسباب حدوث الحروف " :

وهى مكونة من ستة فصول :

الفصل الأول : فى سبب حدوث الصوت .

الفصل الثانى : فى سبب حدوث الحرف .

الفصل الثالث : فى تشريح الحنجرة واللسان .

الفصل الرابع : تحدث فيه عن الحروف العربية ، وكيفية صدور كل حرف

---

(١) نفسه ٨١٧/٢ .
(٢) نفسه ٨١٨/٢ .
(٣) نفسه ٨٢١/٢ .
(٤) علم اللغة العام الأصوات ص ٩٥ .

منها ، فذكر الحروف مرتبة ترتيباً صوتياً يشبه ترتيب الخليل بن أحمد إلى حد بعيد ، وتحدث عن كل صوت كيف ينتجه الجهاز الصوتى ، وكيف يتحول من هواء إلى صوت بتحديد دور كل عضو من أعضاء الجهاز الصوتى فى إنتاج الصوت وإخراجه إلى الوجود .

الفصل الخامس : فى الحروف الشبيهة بالحروف العربية وهى من لغات أخرى ، وذكر منها اللغة الفارسية ، وذكر من هذه الحروف :

١ – الكاف الخفية وقد أشار إلى أنها الكاف التى يستعملها العرب بدل القاف .

٢ – الحرف الشبيه بالجيم وهو الذى ينطق به فى أول البئر بالفارسية وهو " جاره " ومعناها البئر .

٣ – حرف الجيم الشبيه بالزاى .

٤ – حرف الجيم الشبيه بالسين .

٥ – السين الزائية والزاى السينية .

ويقول الدكتور أنيس : " ونطق الفرس للزاى السينية كما يصفه ابن سينا يشبه إلى حد كبير نطق الألمان الآن حين يميلون إلى تهميس الزاى ، ولعل هذا النطق الفارسى للزاى لا يزال سائداً بين أهل إيران حتى الآن " . (١)

٦ – الراء الغينية وتحدث بأن يتغرغر بالهواء التغرغر الفاعل للغين ثم يرعد طرف اللسان ويحدث فى صفاق المنخر الداخل ذلك الارتعاد فتحدث راء غينية .

٧ – الزاى الظائية : وهى تحدث عندما يكون فيها وسط اللسان أرفع والاهتزاز فى طرف اللسان خفى جداً وكأنه من الرطوبة فقط .

(١) الأصوات اللغوية ص ١٤٧ .

ويقول الدكتور أنيس معلقا على هذه الزاى : " هذا الصوت وإن لم ينسبه ابن سينا إلى لغة معينة يبدو أنه نطق الفرس للظاء العربية ، وهو نفس الظاء العامية التى تجرى على ألسنتنا الآن ، أى التى لا نخرج معها طرف اللسان " .(١)

٨ – الفاء الشبيهة بالباء وتقع فى لغة الفرس فى كلمة " فرندى " التى معناها العنكبوت فى حالة التنكير . " ولا فرق بين الفاء وهذا الصوت إلا فى صفة الجهر والهمس فالفاء مهموسة ونظيرها المجهور هو هذا الصوت الفارسى " . (٢)

الفصل السادس : وعنونه بقوله : " فى أن هذه الحروف من أى الحركات غير النطقية تسمع " أى معناه أثر عوامل الطبيعة فى إحداث هذه الأصوات من غير النطق . فمثلاً تسمع العين من كل إخراج هواء بعنف من مخرج رطب ، والحاء عن أضيق منه وأعرض ، والخاء عن حَكّ كل جسم لين حَكًا بالقشر بجسم صلب .

والهاء عن تصعد الهواء بقوة فى جسم غير ممانع كالهواء نفسه .

والقاف : عن شق الأجسام وقلعها .

والغين : عن غليان الرطوبة فى أجزاء كبار تندفع إلى جهة واحدة .

والكاف : عن قرع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله .

والجيم عن وقع الرطوبات فى الرطوبات مثل قطرة من الماء لها مقدار تقع بقوة على ماء واقف فتغوص فيه .

والشين : عن نشيش الرطوبات وعن نفوذ الرطوبات فى خلل أجسام يابسة نفوذاً ذا قوة .

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٤٧ .
(٢) نفسه ص ١٤٨ .

والضاد : عن انفلاق فقاقيع كبار من الرطوبات .

والصاد : عن السبب الذى نذكره للسين إذا وقع فى جرم ذى دوى أو كان معه قرع بشىء له تقعير يسير .

والسين : عن سن جرم يابس جسماً يابساً ويحرك عليه حتى يتسرب ما بينهما من هواء عن منافذ ضيقة جداً ، ويسمع أيضا عن نفوذ الهواء بقوة فى مثل أسنان المشط .

والزاى : عن مثل ذلك إذا أقيم فى وجه الممر جسم رقيق لين كجلدة تهتز على نفسها .

والطاء : تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هنالك هواء له دوى ، ويسمع عن القلع أيضاً مثله .

والتاء : عن قرع الكف بأصبع قرعاً بقوة .

والدال : عن أضعف منه .

والذال : عن مثل الزاى إذا كان المهتز أعظم وأغلظ وأشد يتخلل منفذ الهواء

والثاء : عن مثل السين إذا لم يكن مهتزاً ، ونسبة الذال إلى الزاى كنسبة الثاء إلى السين .

والراء : عن تدحرج كرة على لوح من خشب من شأنه أن يهتز اهتزازاً غير مضبوط بالحبس .

واللام : عن صفق اليد على رطوبة أو وقوع شىء منها دفعة حتى يضطر الهواء إلى أن ينضغط معه ثم ينصرف وتتبعه رطوبة .

والفاء : عن حفيف الأشجار .

والباء : عن قطع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض . [1]

وهكذا نجد أن ابن سينا جعل الأصوات جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة وأن فى الطبيعة أصواتاً تشبه تماماً تلك الحروف .

يقول الدكتور أنيس : " فحديث ابن سينا فى هذا الفصل الأخير حديث عالم من علماء الطبيعة عالج ظاهرة الصوت وبحث فى خواصها ثم بحث فى أصوات اللغة وحروفها ، فربط الأصوات المنطوقة وغير المنطوقة ربطاً أساسه تجاربه الخاصة فى اللغات التى عرفها وأصوات الطبيعة فى بيئته ، وأساسه أيضا مزاجه الشخصى وخياله الخصيب وكل ما ينتمى إلى الجانب النفسى السيكلوجى فى ابن سينا " . [2]

علماء العرب المحدثون وجهودهم في علم الأصوات :

لقد نبغ فى هذا العلم علماء من العالم العربى ، امتلأت المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاتهم فمن ذلك : ـ

١ – الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس وهو أول كتاب متكامل باللغة العربية عن الدراسات الصوتية على المنهج اللغوى الحديث صدرت أولى طبعاته فى عام ١٩٤٧م ثم توالى من بعده تلاميذه وغيرهم فى كل معاهد العلم .

٢ – منهج الأصوات فصل من كتاب : " منهج البحث فى اللغة ص ٥٩ : ٧٠ للدكتور تمام حسان . ظهر سنة ١٩٥٥م .

---

(١) أسباب حدوث الحروف – طه عبد الرءوف سالم ص ٢٦ : ٢٧ .
(٢) أصوات اللغة العربية د / ابراهيم أنيس ص١٥٢ .

٣ – الأصوات اللغوية فصل من كتاب " فقه اللغة " للدكتور محمد المبارك ص ٢٩ : ٥١ الكتاب طبعة دمشق ١٩٦٠م .

٤ – علم اللغة للدكتور محمود السعران ص ٩١ : ٢٢٠ – الباب الثانى – ظهر الكتاب فى عام ١٩٦٢م .

٥ – أصوات اللغة للدكتور / عبد الرحمن أيوب صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٦٣م والثانية ١٩٦٨م .

٦ – علم اللغة العام الأصوات للدكتور كمال محمد بشر سنة ١٩٧٠م .

٧ – دراسة الصوت اللغوى للدكتور أحمد مختار عمر سنة ١٩٧٦م .

وفى جامعة الأزهر الشريف نذكر أساتذتنا الأجلاء وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا – عليه رحمة الله – فى كتابه التجويد والأصوات ، وأستاذنا الدكتور محمد حسن جبل فى كتابه أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية وأستاذنا الدكتور عبد الحميد أبو سكين التجويد والأصوات ، وأساتذتنا الدكتور عبد الله ربيع والدكتور عبد العزيز علام وكتاب علم الصوتيات ، وأستاذنا الدكتور عبد الغفار حامد هلال فى كتابه أصوات اللغة العربية وأستاذنا الدكتور فتحى أنور الدابولى فى مقدمة فى أصوات اللغة العربية وغيرهم من جهود إخواننا فى الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات المصرية .

المباحث الصوتية فى مقدمة العين
للخليـــــل بن أحمـــــد

وبعد أن عرضنا نبذة عن أهمية علم الأصوات ، ونشأة علم الأصوات العربية وعرفنا السبب الذى من أجله اهتم العرب بهذا اللون من الدراسة ، نعيش الآن مع بواكير علم الأصوات العربية ومقدمة معجم العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى ولد فى عمان سنة ١٠٠هـ وتوفى بالبصرة سنة ١٧٥هـ على أرجح الأقوال . (١)

يقول ابن النديم : " قال ابن أبى خيثمة أحمد أبو الخليل أول من سُمِّى فى الإسلام بأحمد ، وأصله من الأزد من فراهيد ، وكان يونس يقول فرهودى مثل أردوسي ، كان غاية فى استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس ، وهو أول من استخرج العروض ، وحصن به أشعار العرب ، وكان من الزهاد فى الدنيا المنقطعين إلى العلم ، وكان شاعراً مقلاً ، وتوفى الخليل بالبصرة سنة سبعين ومائة وعمره أربع وسبعون سنة ، وله من الكتب المصنفة كتاب " العين " (٢) والخليل بن أحمد ذو مواهب متعددة ، وهو أحد الكبار العباقرة ، الذين لهم الفضل على الحضارة العربية ، وهو مبدع مخترع ، ومن اختراعاته أنه يعتبر صاحب أول معجم للغة العربية ، فلقداستطاع حصر اللغة العربية وذلك عن طريق جمع المادة ومقلوباتها ، ووضع كل ذلك فيما يعرف بمعجم العين ، ولقد قدم هذا المعجم بمقدمة تعتبر بحق البداية الأولى لعلم الأصوات فى اللغة العربية ، وكانت بحق المادة الأساسية التى اعتمد عليها من جاءوا بعده ممن تعرضوا للدراسات الصوتية ،

---

(١) ينظر بغية الوعاة للسيوطى ٥٥٧/١ : ٥٦٠ ، وإنباه الرواة ٣٤١/١ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص٦٣ : ٦٤ نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان .

يقول أحد محققى " العين " فى أهمية هذه المقدمة ، وما لها من أثر كبير فى علم الأصوات العربية ، " وإذا كان علىّ أن أوجز أقول : إن مقدمة العين مادة غزيرة فى علم الأصوات العربية وعلم وظائف الأصوات *Phonologie* . وهى بهذا تعد من أهم الوثائق فى علم اللغة التاريخى وذلك لتقدمها ، ولأن صاحبها مبتدع مؤسس لم يأخذ علمه هذا عن معاصر له أو سابق عليه " . (١)

ومن أجل ذلك كله آثرت أن أتعرض لهذه المقدمة شارحاً لها ومحللاً لكل ما اشتملت عليه من معلومات صوتية وذلك على النحو التالى : ـ

١ – الخليل وقصده من قوله : " إن الألف حرف معتل " (٢) :

يقصد بذلك أن الألف ليست أصلية ، وإنما هى منقلبة عن واوٍ أو ياء ، وتسمى أيضا ضعيفة وذلك لانتقالها من حالٍ إلى حال جاء فى اللسان : " قال الجوهرى : جميع ما فى هذا الباب من الألف إما أن تكون منقلبة عن واوٍ مثل دعا ، أو من ياء مثل وَفَى " (٣) .

٢ – طريقة الخليل في تحديد مخارج الصوت :

كان ينطق الصوت الذى يريد تحديد مخرجه مُسَكِّناً مسبقاً بهمزة مفتوحة ثُمَّ يُحِسُّ ويحدد نقطة الارتكاز التى يتم فيها حبس الهواء أو تضييق مجراه ، فهو كان يعتمد على ذوقه وحِسِّه المرهف فى تحديد مخارج الصوت ، فلنستمع إليه يقول : " وإنما كان ذواقه إيَّاها – يقصد مخارج الأصوات – أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر نحو : ابْ ، اتْ ، احْ ، اعْ ، اغْ . فوجد العين أدْخَل الحروف فى

---

(١) ينظر : كلمة محققى " العين " الدكتورين مهدى المخزومى ، إبراهيم السامرائى ص ١٤ .
(٢) مقدمة العين ص ٤٧ تحقيق الدكتورين مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى .
(٣) اللسان : أول باب الواو ص ٤٧٤٤ طبعة دار المعارف .

الحلق فجعلها أول الكتاب ثُمَّ ما قَرُبَ منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم " [1] .

٣ - الخليل وموقفه من الأسماء التي جاءت على حرفين :

وردت أسماء فى اللغة العربية جاءت فى ظاهرها على حرفين مثل يد ودم وفم ، وأبدى الخليل رأيه فيها وذكر أنها وإن جاءت على حرفين فى اللفظ إلا أن تمامها ومعناها على ثلاثة أحرف ، وأشار إلى العلة الصوتية التى من أجلها ذهب الحرف الثالث وهى أنها جاءت سواكن يقصد الحرف الثالث من كلمات يدىْ ، دمىْ ، فموْ وطبيعة هذا الحرف السكون ، وبيَّن أنه لما نونت اجتمع ساكنان فثبت التنوين لأنه إعراب وذهب الحرف الساكن ، وإذا أردنا معرفة الحرف الثالث المحذوف فعلينا جمع الكلمة أو تصغيرها لأن الجمع أو التصغير يرد المحذوف إلى أصله كقولهم : أيديهم فى الجمع ، ويُدَيَّه فى التصغير كما قال الخليل إن الفم أصله " فَوَهٌ " الجمع " أفواه " والفعل فاه يَفُوهُ فُوها إذا فتح فمه للكلام .

وبعد هذا الشرح المبسط لكلام الخليل فلننصت إليه عندما يقول : " وقد تجىء أسماء لفظها على حرفين وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل يد ودم وفم ، وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن وخِلْقَتُها السكون مثل ياء يَدَىْ ، وياء دَمَىْ فى آخر الكلمة فلما جاء التنوين ساكناً اجتمع ساكنان فثبت التنوين لأنه إعراب وذهب الحرف الساكن ، فإذا أردت معرفتها فاطلبها فى الجمع والتصغير كقولهم : أيديهم فى الجمع ، ويُدَيَّه فى التصغير ... قال الخليل : بل الفم أصله " فَوَهٌ " كما ترى والجمع أفواه ، والفعل فَاهَ يَفُوهُ فَوْهاً ، إذا فتح فَمَه للكلام " . [2]

---

(١) مقدمة العين . ص ٤٧ .

(٢) نفسه ص ٥٠ .

وهذا الذى قاله الخليل فى هذه الأسماء التى جاءت على حرفين ، هو ما سار عليه علماء اللغة من بعده فهذا هو تلميذه " سيبويه " يبين لنا أن ما جاء لنا من الأسماء المتمكنة على حرفين قليل حيث قال : " وما جاء من الأسماء غير المتمكنة على حرفين أكثر مما جاء من المتمكنة على حرفين نحو يد ودم " (١) ، ويعلل قلة مجيء الأسماء المتمكنة على حرفين فى موضع آخر بقوله : " ثم الذى يلى ما يكون على حرف ما يكون على حرفين ، وقد تكون عليها الأسماء المظهرة المتمكنة والأفعال المتصرفة ، وذلك قليل ، لأنه إخلال عندهم بِهِنَّ ، لأنه حذف من أقل الحروف عدداً . فمن الأسماء التى وصفت لك : يَدٌ ، ودَمٌ ... الخ " . (٢)

وإذا ما انتقلنا إلى شرح شافية ابن الحاجب وجدناه يوضح المسألة عندما يقول : " وأبنية الاسم الأصول ثلاثية ورباعية إلخ " مقتضاه أن الأبنية الأصول للاسم والفعل لا تكون أقل من ثلاثة . وهو كذلك بالنظر إلى أصل الوضع ، وأما بالنظر إلى الاستعمال فقد تكون على حرفين من الاسم وهو محذوف اللام مثل أب وأخ ويد وثبة وأمة " . (٣)

وابن عصفور يقول : " ولا يوجد اسم متمكن على أقل من ثلاثة أحرف إلا أن يكون منقوصاً نحو : يد ، ودم ، وبابهما " . (٤)

ولقد وضّح لسان العرب هذه المسألة وبَيَّن أن هذا تخفيف بحذف اللام جاء فى اللسان : " قال أبو الهيثم : العرب تَستَثْقِلُ وقوفاً على الهاء والحاء والواو والياء

---

(١) الكتاب ص ٢٢٧ جـ ٤ طبعة عالم الكتب .
(٢) نفسه ص ٢١٩ .
(٣) شرح شافية ابن الحاجب ص ٧ جـ١ تحقيق محمد نور الحسن وآخرين – ط دار الكتب العلمية – بيرت – لبنان .
(٤) الممتع فى التصريف لابن عصفور جـ١ ص٦٠ تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ط الرابعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – نشر دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .

(يعنى تستثقل وقوع هذه الحروف لامات لأسماء فتكون عرضة للوقوف عليها) إذا سكن ما قبلها ، فَتَحْذِفْ هذه الحرف وتُبْقِي الاسم على حرفين ، كما حذفوا الواو من أبٍ أخ وغَدٍ وهَنٍ ، واليـاء من يَدٍ ودَمٍ ، والحـاء من حِرٍ ، والهـاء مِنْ فُوهٍ وشَفَةٍ وشَاةٍ (أصلهما شفهة وشوهة) . فلما حذفوا الهاء من فُوهٍ بقيت الواو ساكنة ، فاستثقلوا وقوفاً عليها فحذفوها . فَبَقِي الاسم فاءً وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين ، حرف يُبْتَدأ به فيحرك ، وحرف يُسكت عليه فَيُسَكَّن ، وإنَّمَا خصوا الميم بالزيادة (هنا ، لأنها فى مكان الواو – وهى شفوية) ، والميم من حروف الشفتين تنطبقان بها " (١) .

نخلص من كل ذلك إلى ما يلى : ـ

١ – أن علماء العربية القدامى وعلى رأسهم الخليل يقولون بثلاثية الجذر العربى فى أصل الوضع .

٢ – ما جاء من الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة على أقل من ثلاثة أحرف قليل .

٣ – وما جاء من جذور من الأسماء والأفعال على حرف أو حرفين إنما هو فى الاستعمال فقط ولكن عددها فى أصل الوضع على ثلاثة أحرف .

٤– منهج العربية قائم على الخفة فى تركيب ألفاظها ومن ذلك التخفيف

---

(١) اللسان : مادة فوه ، وما بين (المعقوفتين) توضيح أستاذنا الدكتور محمد حسن جبل فى كتابه خصائص اللغة العربية ص ١٠٦ وزاد بعض الكلمات مما حذفت لامه تخفيفا – كالذى ذكره أبو الهيثم فى اللسان – مع التعويض عن المحذوف بما هو أخف : الرِّة والفِئة والمِئة ، والقبة (الفحث : ذات الأطباق من الكرش) ، والعزة (العصبة من الناس) ، والعضة (الفرقة من الناس والقطعة من الشىء) ، واللثة ، والقضة (نبتة سهلية) ، والقدة (حية) ، والجية (كراهة بلد أو بيئة) ، والقدة (أيضا) القدوة ، والحظة (الحظوة) – وكل أولئك الكلمات بكسر ففتح . والثبة (الجماعة من الناس) ، والدجة (الزر) ، والذرة (الحب المعروف) ، والكرة ، والبرة (الخلخال) ، واللغة والدغة (دويبة) ، والرقة (التبن) ، وحمة العقرب والزنبور (سمهما وضرهما) ، والقِلَّة (خشبة تنصب وتضرب بأخرى لعبا) ، وكل هذه الكلمات بضم ففتح . ينظر خصائص اللغة العربية تحقيق وتفصيل ص ١٠٧ .

بحذف لام الكلمة إذا كانت هاء أو حاء أو واو أو ياء لثقل الوقوف على هذه الحروف لأنها ضعيفة خفية تحتاج إلى مزيد ضغط عليها عند الوقوف حتى تظهر ، وأيضا ثقل الحركات على الواو والياء عند الوصل .

٨ - بين ثلاثية الأصول وثنائيتها :

عرفنا أن النظرية العربية ترجع أصول الكلمات فى الأسماء والأفعال إلى ثلاثة أحرف ، كما عرفنا شيوع الكلمات وكثرتها التى جاءت على هذا القبيل ، وعرفنا العلة الصوتية التى من أجلها جاءت الكلمات على ثلاثة .

وهذا الذى قرره علماؤنا القدامى سار عليه علماء اللغة فى العصر الحديث إلا أننا رأينا من اجتهد وقال بأن أصول الكلمات العربية يرجع إلى الجذر الثنائي ، ومن هؤلاء الأب مرمرجى الدومنكى فى كتابه بعنوان " المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية " فلقد قال فيه : " الثنائية *Bilitteralime* هى النظرية القائلة بأن الأصول فى العربيـة ، وكذلك فى أخواتها الساميـة ليست الألفاظ ذوات الحروف الثلاثة ، بل ذوات الحرفين ، إذن من شأن الثلاثيـات أن ترد إلى الثنائيات " . (١)

واستدل على اجتهاده هذا بمثل هذه الكلمات يد ، دم ، فم .

وخلاصة ما يراه الأب مرمرجى أن تطور الثنائي إلى ثلاثى هو بزيادة حرف فعلاً لكن المهم هو معرفة موقع هذا الحرف .

وأمام اللغة ثلاثة مواقع :

---

(١) المعجمية العربية على ضوء الثنائية الألسنية السامية ص ٦ للأب مرمرجى الدومنكى القاهرة ١٩٣٧م .

أ – فإذا وقعت الزيادة أولاً سميت (تتويجاً) .

ب – وإذا قعت آخراً سميت (تذييلاً) .

جـ – وإذا وقعت وسطاً سميت (إقحاماً) .[1]

ولقد انبرى من تصدى لاجتهاد مرمرجى ووجه له النقود التالية :

١ – إن عدد الأصول الثنائية التى يمكن استخراجها من تأليف الأصوات العربية هو فى الواقع ($٢٨^{٢}$) أى (٧٨٤) صورة لكن هذه المعادلة لا تتحقق بكليتها فى صورة ثنائيات ذات معنى لغوى لعاملين :

الأول : أن اللغة قد تحاشت مجموعة من التتابعات الصوتية ، بحيث لم يرد منها مثال فى اللسان العربى ، لا فى صورة ثنائية ، ولا فى صورة ثلاثية ، ولا فيما هو أكثر من ذلك ... هذه التتابعات لم ترد فى بنية الثلاثى ، وهى بنية مرنة تبلغ معادلتها ($٢٨^{٣}$) أى (٢١٩٥٢) صورة ثلاثية ممكنة ، وقد بلغ عدد الجذور الثلاثية المستخدمة فعلاً فى اللغة العربية (٧٥٩٧) جذوراً ، أى حوالى ثلث المكن رياضياً ، فكيف بالثنائي الذى بلغ المكن منه رياضيا (٧٨٤) ثم لا نجد فى اللغة من تتابعاته إلا بضع كلمات أو عناصر قديمة ؟

العامل الثانى : إنه مع افتراض أن اللغة تقبل كل المكن رياضيا من الثنائى ، فإن قدراً ضئيلاً جداً من حجم المروى فعلا من الثلاثى فى اللغة هو الذى يقبل الرد إلى ثنائى على طريقة الأب مرمرجى ، لا يتجاوز عُشْر اللغة الثلاثية ، والباقى وهو تسعة أعشار اللغة لا ينضوى تطبيقاً تحت هذا التفسير . فكيف ، والثنائى المستعمل فى اللغة قليل جدا ، بحيث لا يساعد من الناحية العملية على

(١) فى التطور اللغوى ص ١١٠ : ١١١ للدكتور / عبد الصبور شاهين .

اعتماده لتفسير أصول اللغة ، فهو لم يتعد أكثر من سبع وثلاثين كلمة ترجع كما يقرر الأب هنرى فليش إلى أساس لغوى سحيق ، ومن أمثلتها كلمتا (يد ، دم) وتتأرجحان فى رأى الصرفيين بين الثنائية والثلاثية " (١) .

وبعد : أن استمعنا إلى رأى القائلين بثنائية الألفاظ من المحدثين ومن تابعهم ورأينا النقود الموضوعية الموجهة إلى هذه النظرية ، أمكننا القول بكل يقين ثبات النظرية العربية التى إمامها الخليل بن أحمد عليه سحائب الرحمة والقائلة بثلاثية الألفاظ ، كما يجعلنا نتوجه إلى ما خلفه علماؤنا القدامى من تراث أصيل نعب منه مفتخرين بما خلفه لنا الأجداد عليهم رحمة الله أجمعين .

٣ - ترتيبه للحروف ترتيباً صوتياً :

عرفنا فيما سبق أن الخليل وجد حرف " العين " أبعد حروف الحلق مخرجاً ، فابتدأ بها معجمه جاعلاً إيَّاها أول الكتاب ، ثم ما يليها من أبعد الحروف مخرجاً فى الحلق وهو حرف " الحاء " ، ثم بعد أن انتهى من حروف الحلق ، انتقل إلى ما يلى الحلق من المدارج وهى مدرجة اللهاة ووجد فيها حرفين هما القاف الكاف ، وعندما ينتهى من مدرجة ينتقل إلى ما يليها حتى انتهى إلى مدرجة الشفتين وكان آخرها حرف " الميم ".

إذن هو رتب الحروف ترتيباً صوتياً بمعنى أنه نظر إلى أول الأصوات تكوناً فى الجهاز الصوتى فبدأ بها ثم رتبها بعد ذلك حتى وصل إلى آخر الأصوات نطقاً فى الجهاز الصوتى . جاعلاً الواو والياء والألف اللينة والهمزة آخر الحروف معللاً

---

(١) ينظر : دراسة احصائية لجذور معجم تاج العرس باستخدام الكمبيوتر د / عبد الصبور شاهين ط : جامعة الكويت ، فى التطور اللغوى د / عبد الصبور شاهين ص ١١٦ : ١١٨ مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٩٨٥ .

لذلك بأنه ليس لهن مدرج من المدارج تتعلق بها وسماهن حروف الجوف ، وذلك لأنها تخرج من هواء الجوف فليست لها أحياز فتنسب إليها ، كما كان يسميها أيضا الهوائية .

وقصد الخليل من قوله " الجوف " أى أنها تخرج من باطن الباطن كما جاء فى اللسان : " الجوف : باطن الباطن - وجوف كل شىء داخله "(١) . أما قوله هوائية فهو يقصد أنها عندما تخرج من مخرجها لا تتعلق بأى مدرجة أخرى فهى خالية وهذا المعنى استنتجته مما جاء فى المعاجم - ففى اللسان : " قال الجوهرى : كل خالٍ هواء "(٢) .

وبعد هذا التحليل نستمع إلى الخليل عندما يقول : " وأربعة حروف جُوف وهى : الواو والياء والألف اللينة والهمزة ، وسميت جُوفاً لأنها تخرج من الجُوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللِّسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هى هوائية فى الهواء فلم يكن لها حيز تُنْسَب إليه إلاّ الجوف " .

وبنظرة إلى قول الخليل فى النص السابق نجد أن هذا الترتيب للمخارج الذى ورد على لسان الخليل لا يتفق مع الترتيب الطبيعى للمخارج كما هو معروف عند علماء اللغة وعلى رأسهم الخليل نفسه وهى : الحلق ، اللهاة ، واللسان ، والشفتان .

ولكن هذا الترتيب الذى أمامنا لا يتفق فى حالة خروج الهواء ، وأيضا فى حالة دخول الهواء إلى الفم .

ولعل هذا الترتيب تحريف حدث من عمل النساخ .

---

(١) اللسان : مادة جوف .
(٢) نفسه : مادة هوا .

ونعود فنقول : إن ترتيب الخليل للحروف جاء على النحو التالى : ع ، ح ، هـ خ ، غ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ض ، ص ، س ، ز ، ط ، د ، ت ، ظ ، ث ، ذ ، ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي ، همزة .

وبنظرتنا المتأنية إلى قول الخليل السابق يتضح لنا ما يأتى :

١ - أنه وزع حروف العربية على مخارجها وجعل لكل حرف منها مدرجة أو حيزاً (مخرجاً) من مدارج النطق المعروفة ، كالحلق ، واللهاة ، واللسان ، والشفتين .

٢ - كونه لم ينسب حروف المد الثلاثة الألف والواو الياء إلى أى مدرجة من المدارج السابقة ، وإنما ينسبها إلى الهواء جاعلاً إيَّاها آخر الحروف إنما يريد بذلك أن يجعل الهواء معها طليقا أثناء نطقها ، وهذا يتفق مع ما قال به المحدثون ، فلقد قال الدكتور كمال بشر : " إن الخليل قد أتى فى الواقع بأهم خاصة من خواص الحركات . وهى حرية مرور الهواء حال النطق بها ، فلا يقف فى طريقها عائق ، أو بحسب عبارته " لا يتعلق بها شىء " إنها فى الهواء ، ولا يمنع هواء ها شىء وإنما ينسل إلى الخارج طليقاً . وإذا كان لنا أن ننسبها إلى حيز ما نسبناها إلى الهواء ، ووصفناها بأنها " هوائية " كما صرح هو بذلك أكثر من مرة " (١) .

٣ - جعل الخليل الهمزة " هوائية " يقصد بذلك حرية مرور الهواء حال النطق بها فلا يقف فى طريقها عائق ، ولذلك جعلها مع الألف كذلك . وسيأتى الحديث بالتفصيل عن مخرج الهمزة فى فصل : " الخليل ومخارج الحروف " .

---

(١) علم اللغة العام الأصوات ص ٧٨ طبعة دار المعارف مصر - الطبعة الرابعة .

٤ - الخليل وتركيب الكلمة العربية :

لقد حدثنا علماء اللغة القدامى عن تركيب كلام العرب ، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الذى بيّن لنا أن كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثنائي ، والثلاثى ، والرباعى ، والخماسى ، ثم تحدث عن الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى .

فذكر أن الثنائى ما كان على حرفين سواء أكان من الحروف أم من الأسماء وضرب لذلك الأمثلة : نحو قَدْ ، لَمْ ، هَلْ ، بَلْ ، ونحوه من الأدوات والزّجر ، وقد علق الدكتور درويش محقق المطبوعة ص٣ " م " على الزجر بقوله : " إنها أسماء الأفعال مثل صه " (١) .

كما تحدث عن أبنية الثلاثى فى الأفعال والأسماء ضارباً لذلك الأمثلة ، فالثلاثى من الأفعال نحو : ضَرَبَ ، خرج ، دخل . ومن الأسماء نحو : عُمَر ، جَمَل ، شَجَر .

كما تحدث عن أبنية الرباعى فى الأسماء والأفعال أيضا ، فالرباعى من الأفعال نحو : بَحْرَجَ - هَمْلَج (٢) ، قَرْطَسَ (٣) . ومن الأسماء نحو عَبْقَر (٤) ، وعَقْرَب (٥) ، وجُنْدب وشبهه (٦) .

---

(١) ينظر : مقدمة العين ص ٤٨ .

(٢) الهَمْلَجَةُ والهِمْلاج : حُسْنُ سير الدابة فى سرعة ، وقد هَمْلَجَ والهِمْلاج : الحَسَنُ السير فى سرعة " اللسان : مادة : هَمْلَج .

(٣) " القِرْطاس : معروف يُتَّخَذُ من بَرْدِيّ يكون بمصر ، والقِرْطاس : أديم يُنْصَب للنضال ويُسَمَّى الغرض قرطاسا ... والقِرْطاسُ ، والقُرْطاس والقِرْطَس والقَرْطاس كله : الصحيفة الثابتة التى فيها " اللسان : قرطس .

(٤) عَبْقَر : موضع بالبادية كثير الجنّ يقال فى المثل : كأنهم جنّ عَبْقَر " اللسان : عبقر .

(٥) العَقْرب واحدة العقارب من الهَوَامّ يكون للذكر والأنثى بلفظ واحد والغالب عليه التأنيث " اللسان : مادة عقرب .

(٦) الجُنْدع : جُنْدب أسود له قَرْنان طويلان وهو أضخم الجنادب ، وكل جُنْدب يؤكل إلا الجُنْدع . وقال أبو حنيفة : الجُنْدع : جُنْدب صغير " اللسان : مادة جندع .

وتحدث عن أبنية الخماسى فى الأسماء والأفعال ، ومَثَّل للخماسى فى الأفعال بـ : اسْحَنْكَك [1] ، اقْشَعَرَّ [2] ، واسْحَنْفَر [3] ، واسْبَكَرَّ [4] .

ومثل للخماسى فى الأسماء بـ سَفَرْجل [5] ، وهَمَرْجل [6] ، وشَمَرْدل [7] ، وكَنَهْبَل [8] ، وقَرَعْبَل [9] ، وعَقَنْقَل [10] ، وقَبَعْثَر [11] وشبهه .

وبعد أن ذكر لنا عدد الحروف الأصول التى تتكون منها الكلمة العربية فى الأسماء والأفعال ، وضع لنا قاعدة مهمة وهى أن مازاد على خمسة أحرف فى بناء الكلمة العربية حكمنا بزيادته ، فلنستمع إليه يقول : " وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف ، فَمَهْمَا وجَدت زيادة على خمسة أحرف فى فِعْل أو اسم ، فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليست من أصل اللكمة ، مثل قَرَعْبَلانة إنما أصل بنائها : قَرَعْبل ، ومثل عَنْكَبُوت ، إنما أصل بنائها عَنْكب " [12] .

---

(١) اسْحَنْكَك الليل : إذا اشتدت ظلمته " العين للخليل بن أحمد باب الخامسى من الحاء .
(٢) " القُشَعْرِيرة : الرِّعدة واقْشِعْرَار الجلد وأخذته قُشَعْرِيرة وقد اقْشَعَرَّ جِلْدُ الرجل اقْشِعْرَاراً فهو مُقَشْعِرٌ " اللسان : مادة قَشْعَر .
(٣) " اسْحَنْفَرَ الرجل : استَمَرَّ " العين باب الخماسى من الحاء .
(٤) " المُسْبكر : المعتدل ، ويكون المسترسل " العين . باب : الرباعى من الحاء .
(٥) " السَّفَرْجل والواحدة سَفَرْجلة ، من الفواكه معروف " العين : باب الخماسى من الجيم .
(٦) " الهَمَرْجل : الجواد السريع " اللسان : مادة همرجل .
(٧) " الشَّمَرْدل : من الإبل وغيرها : القوىُّ السريع الفتىِّ الحَسَنُ الخلق والأنثى بالهاء " اللسان : مادة شمردل .
(٨) " الكَنَهْبَل : الشعير الضخم السنبة " تاج العروس مادة كهبل باب اللام فصل الكاف .
(٩) " القَرَعْبَلانة : دُوبية عريضة مُحَبَّنْطِئة بطينة ، وفى الصحاح : عظيمة البطن قال الجوهرى : وأصله قرعبل وزيدت ، تاج العروس مادة قرعبل باب اللام فصل القاف .
(١٠) " العَقَنْقَل : الوادى العظيم المُتَّسع " المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦١٧ ط إحياء التراث – بيروت – لبنان .
(١١) " القَبَعْثَرى : الفصيل المهزول ... قال مزاحم : القبعثرى دابة من دواب البحر لا تُرَى إلا منقبعة فى الثَّرى أو على ساحل البحر " العين : باب الخماسى من العين .
(١٢) مقدمة العين ص ٤٩ .

٢ - جعل الخليل أقل بناء للاسم من حيث أصل الوضع على ثلاثة أحرف مبينا السرّ فى ذلك صوتيا وذلك لأنه لابد من حرف يبتدأ به ، وحرف يسكت عليه ، وحرف يحشي به أى يكون وسطا بين الحرف الأول المتحرك ، والحرف الأخير الساكن ، أى واسطة بين المبتدأ به والموقوف عليه فهو يقول : "الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف[1] . حرف يبتدأ به وحرف يُحْشي به الكلمة ، وحرف يوقف عليه . فهذه ثلاثة أحرف مثل سَعْد عُمَر ونحوهما من الأسماء فعمر بدىء بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء "[2] وهذا الذى أصله الخليل بن أحمد من كون أصل وضع الكلمة على ثلاثة أحرف سار عليه علماء اللغة القدامى من بعده وشرحوه وبينوا لنا السرّ فى ذلك ، فلقد جاء فى شرح شافية ابن الحاجب قوله : " قال أبو حيان : إنما كان أقل الأصول ثلاثة لأنه لابد من حرف يُبْتَدأ به ، وحرف يسكت عليه ، وحرف يحشي به الكلمة ... وعلل لذلك بقوله : " لأن بعض الكلم يحتاج إليه فى بعض الأحكام ، ألا ترى أن التصغير لا يتصور فى اسم على حرفين لأن ياءه إنما تقع ثالثة وحرف الإعراب بعدها "[3] وكأنى بهم يستشعرون الاعتدال والاتزان فى نطق الكلمة العربية عندما عللوا بقولهم : " إنما كان أقل الأصول ثلاثة لأنه لابُدّ من حرف يبتدأ به ، وحرف يسكت عليه ، وحرف يحشي به الكلمة ... والحرف المبتدأ به لا يكون إلا متحركاً ، وهذا يحتاج إلى السرعة ، والحرف الموقوف عليه يكون ساكنا ، فلو تصورنا أن قطاراً انطلق بسرعة ثم توقف فجأة - ماذا يحدث له ؟ نجد الاهتزاز والاضطراب ، لأنه لم يأخذ القدر الكافى بعد تحركه لكى يقف معتدلا - والحرف الوسط فى الكلمة الثلاثية يؤدى إلى الاعتدال فى نطقها .

---

(١) مقتضى كون الاسم أو الفعل ثلاثة أحرف هذا فى أصل الوضع أما بالنظر إلى الاستعمال فقد تكون الكلمة على حرفين وعلى حرف واحد مثل أب وأخ ، " قُل " ، و" بع " ... الخ شرح شافية ابن الحاجب ص ٧ : ٨ ج١ ط دار الكتب العلمية .

(٢) مقدمة العين ص ٤٩ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ص ٨ : ٩ .

كما وجدنا ابن جنى يُعلّل أيضا لِسرّ اعتدال الثلاثى ، وأن ذلك يرجع إلى ملحظ فنى صوتى ، وليس إلى قلة حروفه فحسب يقول ابن جنى : " وليس اعتدال الثلاثى لقلة حروفه فحسب ، ولو كان كذلك لكان الثنائى أكثر منه ، لأنه أقل حروفاً ، وليس الأمر كذلك .... أن ذوات الثلاثة لم تتمكن فى الاستعمال لقلة عددها فحسب ، ألا ترى إلى قلة الثنائى ، وأقل منه ما جاء على حرف واحد كحرف العطف وفائه ، وهمزة الاستفهام ، ولام الابتداء والجرّ ، ... فتمكن الثلاثى إنما هو لقلة حروفه ، لعمرى ، ولشىء آخر ، وهو حجز الحشو الذى هو عينه ، بين فائه ، ولامه ، وذلك لتباينهما ، ولتعادِى حاليهما ، ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ، فلما تنافرت حالاهما وسّطوا العين حاجزاً بينهما لئلا يفجئوا الحِسّ بضدّ ما كان آخذاً فيه ، ومنصبًا إليه " (١) .

٥ - الخليل ومسألة البدء بالساكن :

اعتمدت اللغة العربية مبدأ الخفة فى بناء كلماتها ، ونظرت إلى حركات الحروف وسكونها ، ووضعت كلا منها فى أماكنها الطبيعية مما يدل على أنها لغة شاعرة ، يقول الأستاذ عباس العقاد : " إنها لغة بنيت على نسق الشعر فى أصوله الفنية والموسيقية ، فهى فى جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات ، لا تنفصل عن الشعر فى كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء .

وهذه الخاصة فى اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة ، إلى تركيب مفرداتها على حدة ، إلى تركيب قواعدها وعباراتها ، إلى تركيب أعاريضها وتفعيلاتها فى بنية القصيد " (٢) ومبدأ الخفة فى بناء الكلمات العربية أصّله الخليل فيما يأتى :

---

(١) الخصائص : لابن جنى ص ٥٥ : ٥٦ ج١ ط دار الهدى للطباعة النشر - بيروت . لبنان .
(٢) اللغة الشاعرة ص ٨ منشورات المكتبة العصرية - بيروت .

- قرر أنه لا يبتدأ بساكن لتعذر نطق اللسان بالساكن ووضع لنا قاعدة وهى أن الكلمات التى أول حروفها الأصلية حرف ساكن لكى نستطيع النطق بها فعلينا أن نأتى قبل الحرف الساكن بهمزة الوصل لتكون هذه الهمزة سلّماً وعماداً للسان إلى الحرف الأصلى الساكن فلنستمع إليه يقول : " والألف التى فى اسْحَنكك واقشعر واسحنفر واسْبَكرّ ليست من أصل البناء ، وإنما أدخلت هذه الألفات فى الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً وسلّمًا للسان إلى حرف البناء ، لأن اللسان لا ينطق بالساكن [1] من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل إلا أن دحرج وهملج وقرطس لم يحتج فيهنّ إلى الألف لتكون السلّم فافهم إن شاء الله " [2] .

فهو فى هذا النص يعرفنا أن العربية لم تبدأ كلماتها بالسكون فى أى بناء من أبنيتها ، وذلك لثقل نطق اللسان بالساكن عند أول النطق لما فى ذلك من الصعوبة الواضحة " حيث لا يمكن للسان أن يتفوه به أولا وبخاصة فى لغة استقام منهجها مع رقى فكر وتقدم ملموس " [3] .

أما إذا ابتدىء بالكلمات متحركة فلا حاجة إذاً للإتيان بهمزة الوصل كما فى الكلمات دحرج ، هملج ، قرطس .

الخليل ورأيه في الثنائي إذا أريد به أن يكون اسماً :

لقد علمنا الخليل بأن هناك من الكلمات ما هو على حرفين مثل : قَدْ ، وهَلْ ، ولَوْ ، وإذا أريد بهذه الكلمات أن تكون أسماء زيد حرف فى آخرها من جنس

(١) النطق بالساكن يشبه مشية المقيد ، ولذلك تأتى همزة الوصل لتخفف من هذا القيد .
(٢) مقدمة العين ص ٤٩ .

(٣) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال ص ٢٠٨ ط : الثانية .

الحرف الأخير ثم يدغم ويُشَدَّد فتصير الكلمة اسما فمثلا إذا أردنا اسمية " قَدْ " زيدت دال على الدال الأخيرة ثم تدغم فيها وتشدد فتصير اسماً " قَدٌّ " ، وكذا الحال فى " لوْ " تقول : " لوٌّ " ، و" هَلْ " تقول " هَلٌّ " .

وضرب الأمثلة على ذلك بقوله : هذه لَوٌّ مكتوبة ، وهذه قَدٌّ حَسَنَةٌ الكتبة ، وقال عن هذه القضية : فإن صيَّرْت الثنائى مثل قَدْ وهَلْ ولوْ اسماً أدخلت عليه التشديد فقلت : هذه لوّ مكتوبة ، وهذه قدّ حَسَنَةٌ الكتبة ، زدت واواً على واو ، ودَالاً على دال ، ثم أدغمت وشَدَّدت .

فالتشديد علامة الإدغام والحرف الثالث كقول أبى زُبَيد الطائىّ :

لَيْتَ شِعْرِى وأيْنَ مِنِّى لَيْتٌ ... إنَّ لَيْتًا وإنَّ لوًا عَنَاء

فَشَدَّدَ " لَوًا " حين جعله اسماً .

قال ليث : قلت لأبى الدقيش : هَلْ لَكَ فى زُبْدٍ ورُطَب ؟ فقال : أشَدُّ الهَلِّ وأوحاه ، فَشَدَّد اللام حين جعله اسماً " (١) .

وهذا الذى ذكره الخليل سار عليه أصحاب المعاجم اللغوية ففى اللسان : " وإن جعلت " قَدْ " اسما شددته فتقول : كتبت قَدًّا حَسَنَةً وكذلك كىٌّ وهُوٌّ ولَوٌّ لأن هذه الحروف لا دليل على ما نقص منها ، فيجب أن يُزَاد فى أواخرها ما هو من جنسها ويُدْغم " (٢) .

وما جاء فى اللسان هو بعينه ما جاء فى تاج العروس (٣) .

---

(١) مقدمة العين ص ٥٠ تحقيق الدكتورين مهدى المخزومى وابراهيم السامرائى .
(٢) ينظر : تاج العروس مادة " قدد " .

٩ - الخليل والحروف الذلقية والشفوية :

تكلم الخليل عن الحروف الذُّلقية[١] ، وسبب تسميتها بهذا الاسم معللاً لذلك بأن الذلاقة فى المنطق [٢] إنما هى بطرف أسلة[٣] اللسان وهى ثلاثة أحرف ر ، ل ، ن ، وبيَّن أنها تخرج من ذَلَق اللسان مع (طرف غار الفم) كما تكلم عن الحروف الشفوية وهى التى مخرجها من بين الشفتين وهى الفاء ، والباء ، والميم مبينا أن الشفتين لا تعمل فى شىء ، من الحروف الصِّحاح إلاَّ فى هذه الأحرف الثلاثة فقط ، فتكون الحروف التى تخرج من طرف اللسان والشفتين عند الخليل ستة وهى الراء ، واللام ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم ، وقبل أن ننطلق مع الخليل فى سر شيوع هذه الأحرف وكثرة الكلمات التى بنيت منها الكلمات الرباعية والخماسية لنستمع إليه حيث يقول : " إعلم أن الحروف الذُّلق والشفوية ستة وهى : (ر ل ن ، ف ب م ، وإنما سُمِّيت هذه الحروف ذُلقاً لأن الذلاقة فى المنطق إنما هى بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مَدْرجتا هذه الأحرف الستة ، منها ثلاثة ذليقة (ر ل ن) تخرج من ذَلَق اللسان مع (طرف غار الفم) وثلاثة شفوية : ف ب م ، مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان فى شىء من الحروف الصِّحاح إلا فى هذه الأحرف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون "[٤] .

وقفة مع ما قاله الخليل عن الحروف الذلقية والشفوية :

عندما عَدَّ الخليل الراء واللام والنون حروفاً ذلقية مبيناً أنه لا ينطلق اللسان

---

(١) جاء فى لسان العرب : " ذَلَقُ كُلِّ شىء وَذَوْلَقُهُ : طَرَفُه " مادة : ذلق .

(٢) أى الفصاحة يقال : " لسانٌ ذَلِق طَلِق ، وَذَلِيقٌ طَلِيقٌ ، وَذَلْقٌ : طَلْقٌ ، ذَلِقٌ طَلِقٌ ، اربع لغات فيها . والذَّليق : الفصيح اللسان " اللسان : مادة : ذلق .

(٣) الأسَلَةُ : مُسْتَدَقُ اللسان والذراع . وفى كلام على : لم تجف لطول المناجاة أسَلاتُ ألسنتهم ، وهى جمع أسَلَة وهى طرف اللسان " اللسان مادة : أسل .

(٤) مقدمة العين ص ٥١ : ٥٢ .

إلا بها كأنى به قد استشعر وجود علاقة صوتية خاصة بهذه الحروف جعلته يقول لذلك : " ولا ينطلق اللسان إلا بها " يعنى الراء واللام والنون ، وإلاَّ " فإن طرف اللسان أيسر مرونة فتتأتى منه شتى الحركات والأوضاع ، وحروف طرف اللسان عدة أنواع من عدة مخارج " (١) .

كما عَدَّ بعض المحدثين الحروف التى تخرج من بين أول اللسان بما فيه طرفه والثنايا العليا بما فيها أصولها بالمجموعة الكبرى (٢) ، وهذه العلاقة الصوتية الخاصة بين حروف الراء واللام والنون فَسَّرَها لنا المحدثون بقولهم : " إنها مع قرب مخارجها تشترك فى نسبة وضوحها الصوتى ، وإنها من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع ، ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين " (٣) .

أمَّا حديثه عن الحروف الشفوية فهى لا تختلف كثيراً عما قاله المحدثون حيث ذكروا أن الفاء صوت شفوى أسنانى (٤) ، ولقد جعلها الخليل من بين الشفتين أمَّا كلامه عن الميم والباء فلا يختلف عما قاله المحدثون حيث عَدُّوا الميم والباء من الأصوات الشفوية (٥) .

لكن بعض المحدثين ذكر أن " الواو " من الحروف التى تشترك الشفتان مع اللسان فى إخراجها حيث قال : " والمقصود هنا الواو الصامتة فى مثل وَلَد ، وقَوْل ويشترك اللسان والشفتان فى إخراج الواو " (٦) ، " وكثيراً ما يشار إلى الواو أيضا فى نحو (وعد) بأنها شفوية " (٧) .

---

(١) أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د / محمد حسن جبل ص ١٨٨ الطبعة الثالثة .
(٢) ينظر : الأصوات اللغوية د/ابراهيم أنيس ص ٦٢ ط الخامسة ١٩٧٩ مكتبة الأنجلو المصرية .
(٣) نفسه ص ٦٣ .
(٤) نفسه ص ٤٦ ، وأصوات اللغة العربية د / محمد جبل ص ٢٢٦ .
(٥) ينظر : الأصوات اللغوية ص ٤٥ ، وأصوات اللغة العربية ص ٢٢٨ : ٢٣٠ .
(٦) أصوات اللغة العربية ص ٢٣٤ .
(٧) علم اللغة العام الأصوات د / كمال محمد بشر ص ٨٩ .

١٠ - الخليل وأسرار حروف الذلاقة :

لقد عرفنا أن حروف الذلاقة تتصف بالخفة والسلاسة فى نطقها ، ولهذه الصفة سهلت على اللسان فى النطق ، وكثرت فى أبنية الكلام ، ولذلك وجدنا الخليل يضع لنا الضوابط فى بناء الكلمات الرباعية والخماسية على النحو الآتى :

أ - لا تخلو الكلمة الخماسية الأصول من حروف الذلاقة أو من بعضها .

ب - إذا وردت كلمة رباعية أو خماسية خالية من حروف الذلاقة حكمنا عليها بأنها ليست عربية وإنما هى أعجمية .

جـ - الجمهور الأعظم من أبنية الرباعى لا يخلو من الحروف الذلق أو من بعضها إلا كلمات نادرة قليلة ورد منها نحو عشر كلمات منها : العَسْجَد [١] ، والقَسْطوس ، والقُدَاحِس [٢] ، والدُّعْشُوقَة [٣] ، والهُدُعَة ، والزُّهزقة [٤] " .

وقد ينوب حروف أخرى عن حروف الذلاقة كالقاف والعين .

وبعد ذلك نجد أن الخليل يبين لنا السِّر فى شيوع حروف الذلاقة فى أبنية الكلام العربى عندما يقول : فَلَمَّا ذَلَقَت الحروف الستّة ، وَمَذَل بِهِنَّ اللسان وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام " [٥] ، كما أورد كلمات ليس فيها أحد هذه الحروف مثل الكَشْكعَنَّج والخَضَعْنَج والكَعْطَج وقال إنها مولدات لا تجوز فى كلام العرب ، لأنه ليس فيهن شىء من حروف الذلق والشفوية " [٦] ، ولقد حكم علماء

---

(١) العَسْجَد : الذهب ، وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدُّر والياقوت اللسان مادة : عسجد .

(٢) القُدَاحِسْ : الشجاع الجرىء ، وقيل السىء الخلق . اللسان مادة قدحس .

(٣) الدُّعْشُقَة : دُوَيبة كالخنفساء . اللسان مادة دعشق .

(٤) الزُّهْزَقَة : شدة الضحك ، الزُّهْزَقة كالقهقهة : اللسان مادة : زَهْزَق .

(٥) مقدمة العين ص ٥٢ .

(٦) نفسه ص٥٢ . ولم أجد الكلمات فى تاج العروس باب الجيم مما يدل على أنها مولدة حقا .

العربية على مثل هذه الكلمات التى خلت من حروف الذلاقة بأنها مهملة ، فهذا ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) يجعل من أنواع المهمل مثل هذه الكلمات عندما يقول : " وله ضرب ثالث (أى المهمل) وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذلق أو الإطباق حرف " [١] وفى مقابل حروف الذلاقة سمى ما عداها من الحروف بالصُّتَّم [٢] فلقد قال : " ولا يضر ما خالف من سائر الحروف الصُّتَّم " [٣] وفى موضع آخر يقول : " ... فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح . والمعتل ومن الذُّلق (والطُّلق) والصُّتَّم " [٤] ، ولقد سماها ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) بالحروف المصمتة فلقد قال : " ومنها الحروف المصمتة ، وهى باقى الحروف " [٥] وكلا اللفظين " الصتمة " و" المصمتة " يؤديان المعنى المقابل " للذلاقة " فالصتمة تعنى الضخم الشديد [٦] ، وهذا يؤدى إلى الثقل فى مقابل الخفة ، كما أن لفظ " الصُّمْتَة ، والصُّمتة تعنى – ما يُسَدّ به الشىء أو يُسكت به ، أو تعنى السكوت الذى هو ضد الكلام [٧] ، وهذه المعانى توحى بالقلة فى مقابل الكثرة التى تتصف بها الذلاقة ، ولقد علل ابن جنى تسميتها مصمتة بأنها : " صُمِتَ عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية مُعَرَّاة من حروف الذلاقة " [٨] .

---

(١) الصاحبى ص ٨٢ تحقيق مصطفى الشويمى ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت – لبنان ١٩٦٣م .

(٢) " قال الجوهرى : الحروف الصُّتَّم ما عدا الذُّلق " اللسان مادة : صتم .

(٣) مقدمة العين ص ٥٤ .

(٤) نفسه ص ٥٥ .

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جنى جـ ١ ص ٦٤ تحقيق الدكتور حسن هنداوى دار القلم بدمشق – الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

(٦) جاء فى اللسان : " رَجُلٌ صتم وجمل صتّم : ضخم شديد ، وناقة صتمة كذلك ، وعبد صتّم ، بالتسكين ، غليظ شديد والجمع صُتَّم بالضم " مادة : صتم .

(٧) جاء فى اللسان : " والصُّمْتَة ، والصُّمتة " ما أُصْمِتَ به صُمْتَة الصبى : ما أسكت به ... وماله صُمْتَه لعياله ، وصِمْتَة أى ما يطعمهم فيصمتهم به ... الصُّمات : السكوت .

(٨) سر صناعة الإعراب ١/٦٥ .

١١ - الخليل وخصيصة حُسْن التأليف في العربية :

عرفنا فيما سبق أن الخليل وضع لنا مبدأ وهو أن الكلمات الرباعية أو الخماسية لا تخلو من حروف الذلاقة ، وإذا خلت منها فإنها تكون مولدة (غير عربية) ، وعرفنا الحكمة التى من أجلها كثرت حروف الذلاقة فى الأبنية الرباعية والخماسية (فلما ذلقت الحروف الستة ، ومذل بِهِنَّ اللسان وسهلت عليه فى النطق كثرت فى أبنية الكلام ، فليس شىء من بناء الخماسى التَّام يَعْرى منها أو من بعضها) [١] وتتميما لمبدأ حسن التأليف فى العربية وجدناه يضارع بين حروف الذلاقة وبين الحروف التى تميزت بالنصوع والطلاقة مثل العين والقاف ، ونصاعة العين متحققة فيها لما فيها من الطلاقة وضخامة الجرس ، أما نصاعة القاف فلأنها أمتن الحروف وأصحها جَرْساً ، وهذا المعنى استنبطته من اللسان فلقد جاء فيه : " والعَيْن والقاف لا تدخلان على بناء إلا حَسُنتاه لأنهما أطلق الحروف ، أمَّا العين فأنْصَع الحروف جَرْساً وألذُّها سَمَاعاً ، وأمَّا القاف فأمتن الحروف وأصحها جَرْساً " [٢] .

ومن أجل هذه النصاعة والطلاقة المتحققة فى العين والقاف والتى أكسبتهما لذاذة مستمع ضوعرت بخفة النطق المتحقق فى حروف الذلاقة ، فلا تدخلان فى بناء إلا حَسُنتاه ، لأنهما أطلق الحروف جَرْسا " [٣] .

وإذا اجتمعت العين والقاف ، أو أحدهما فى بناء حَسُن هذا البناء لما فيهما من النصاعة . [٤]

---

(١) مقدمة العين المخزومى والسامرائى ص ٥٢ .
(٢) اللسان : أول باب القاف .
(٣) مقدمة العين ص ٥٣ " والجَرْس مصدر الصوت المجروس ، والجَرْس: الصوت نفسه " اللسان : مادة جرس .
(٤) " الناصع : الخالص من كل شىء ، وشىء ناصع : خالص " اللسان : مادة نصع .

وأيضا وجدناه يجعل حسن السين والدال يضارع الخفة كذلك معللا بليونة الدال عن صلابة الطاء ، وكزازتها وارتفاعها عن خفوت التاء ، وحُسْن السين حاصل لها لوقوعها بين مخرج الصاد والزاى . (١)

كما بسط الخليل القول فى أن الأبنية الرباعية والخماسية لا تخلو من حروف الذلاقة أو الحروف التى تضارعها فى الخفة كحرفى الطلاقة وهما العين والقاف ، أو حُسْن السين والدال مبينا أن ما وُجد من تأليف خالٍ من هذه الأحرف أو بعضها فهو مُوَلّد لا ينسب إلى لغة العرب .

وبعد هذا الشرح من حقنا أن نستمع إلى نص الخليل فى ذلك : " ولكن العين والقاف لا تدخلان فى بناء إلا حسّنتاه ، لأنهما أطلق الحروف جَرْسا . فإذا اجتمعا أو أحدهما فى بناء حَسُنَ البناء لنصاعتهما . فإن كان البناء اسماً لَزِمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف . لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها (٢) . وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت . وصارت حال السِّين بين مخرج

---

(١) "مخرج الطاء والدال واحد وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا " ينظر : الكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤ تحقيق عبد السلام هارون . ولكن الاختلاف بينهما فى الصفات فالطاء حرف مطبق مستعل أما الدال فهى منفتحة مستفلة ، وما عدا هاتين الصفتين فهو مشترك بينهما .
يقول سيبويه : " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا ... " الكتاب ٤٣٦/٤ ، ولا شك أن صفة الإطباق فى تكوين الصوت أثقل من صفة الانفتاح ، وأيضا الحروف المستفلة خفيفة بالنسة للحروف المستعلية – وهذا متحقق فى كلام الخليل عندما قال : " لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها " .
أما قول الخليل : " وارتفعت عن خفوت التاء " فلأن الدال حرف مجهور ، والتاء مهموسة ، ولا شك أن الجهر أقوى من الهمس " .
– بقى مسألة معالجة : (حُسْن السين حاصل لها لوقوعها بين مخرج الصاد والزاى) فالصاد مطبقة ، أى يتقعر وسط اللسان بحيث ينحصر الصوت بينه وبين الحنك ، والزاى مجهورة أى يخرج من الأوتار الصوتية زمير يصحب صوتها ولكننا نجد أنه مع السين لا تقعر ولا زمير" .
ينظر : أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ١٩١ .
(٢) " صَلُبَ الشىء صَلَابَةً فهو صليب وصُلْب أى شديد " اللسان : مادة : صلب .

الصاد والزاى كذلك - فمهما جاء من بناء اسم رباعى مُنْبَسِط [1] مُعَرًّى من الحروف الذُّلق والشفوية فإنه لا يَعْرى من أحد حرفى الطلاقة أو كليهما ، ومن السين والدَّال أو أحدهما ، ولا يضر ما خالف من سائر الحروف الصُّتْم . فإذا ورد عليك شىء من ذلك فانظر ما هو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو قَعْنَج وقَعْنَج ودَعْنَج [2] لا يُنْسَب إلى عربية . ولو جاء عن ثقة لم يُنْكر ولم نسمع به [3] (ولكن أَلْفَيْنَاه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل) [4] فالخليل يعترف بأن هذه الكلمات لو جاءت عن عربى لا تنكر لأن فيها حرفى القاف والعين .

١٢ - الخليل والحكايات الرباعيات :

تعريف الحكاية:

الحكايات : جمع حكاية : كقولك حَكَيْتُ فُلاناًوحَاكَيْتُهُ فَعَلْتُ مثل فِعْله أو قُلْتُ مِثْلَ قَوْلِه سواءً لم أجَاوزه " [5] ، ولقد عرفها الشريف الجرجانى بقوله : " الحكاية : عبارة عن نقل كلمة من موضع إلى موضع آخر بلا تغيير حركة ولا تبديل صيغة ، وقيل الحكاية : إتيان اللفظ على ما كان عليه من قبل " [6] .

فهى عبارة عن إعادة كلمة قالها إنسان مرة أخرى ، لكن المقصود هنا هو الكلمات المكررة الحروف التى يفترض أنها تحاكى بالتكرار لفظاً أو حدثاً ، وقد قسمها الخليل إلى قسمين :

أ - الحكاية المؤلفة : هى ما كان حرف صدرها موافقا لحرف صدر ما ضُمَّ

---

(١) أى ليس مضاعفا لأنه فى مقابلته كما سيذكر بعد .
(٢) برجوعى إلى لسان العرب وتاج العروس باب الجيم لم أعثر على هذه الكلمات فيهما مما يدل على أنها مولدة حقًا .
(٣) سبق أن ذكرنا أن هذا ضرب من ضروب المهمل ص ٥٠١ : ٥٠٢ .
(٤) مقدمة العين ص ٥٤ .
(٥) اللسان : مادة حكى .
(٦) التعريفات للجرجانى ص ٨١ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

إليها فى عجزها [1] ، فهى كلتها عبارة عن كلمتين كل كلمة مكونة من حرفين صدر الكلمة الأولى مماثل لصدر الكلمة الثانية ، ومثل لها بكلمتى دَهْدَاق [2] ، وَزَهْزَاق [3] وبسط القول فى الحكاية المؤلفة حيث أشار إلى أنه إن كانت مؤلفةً من الرباعى المنبسط (أى غير مضاعف) خالية من حروف الذلاقة (وكان فيها الهاء والدال المتشابهتان [4]) مع لزوم العين أو القاف فهو مُسْتَحْسَن . كما علل استحسان الهاء فى هذا الضرب للينها وهشاشتها [5] ، فلقد قال فى هذا الضرب : " وأما ما كان من رباعى منبسط معرًى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو : دَهْدَاق وزهزاق وأشباهه فإن الهاء والدال المتشابهتين مع لزوم العين أو القاف مُسْتَحسن . وإنما استحسنوا الهاء فى هذا الضرب للينها وهشاشتها . وإنما هى نَفس لا اعتياص فيها " . [6]

ثم تكلم بعد ذلك عن الضرب الثانى من الحكاية المؤلفة وهو الذى فيه حرف من حروف الذلاقة ولا يضر فيه إن كان فيه الهاء أم لا ، ومثل له بنحو الغطمطة [7]

---

(١) مقدمة العين ص ٥٤ .

(٢) الدَّهْدَاق : أسوأ الضَّحِك ، زهزق فى ضحكة زهزقةً ودَهْدَق دَهْدَقَة " تاج العروس مادة : دَهْدَق .

(٣) الزَّهْزَقَة : شدة الضحك وكذلك الدَّهدقة ويُقَال : هو الإكثار منه ... قال الليث : والزَّهْزَقَة : ترقيص الأمّ الصبى ، والزَّهْزاق : اسم ذلك الفعل " تاج العروس مادة زهزق .

(٤) كون الهاء والدال متشابهتان فى أكثر الصفات فى الاستفال ، والانفتاح والإصمات ينظر : الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٦ ، وأصوات اللغة العربية د / جبل ص ١٤٧ ، ٢١٩ .

(٥) أى أنها رخوة مهموسة ، ولقد عبر عن ذلك الخليل عندما قال : " إنها مهموسة خفية لا صوت لها " المزهر (تحقيق جاد المولى وآخرين ١/٩٠) كماجاء فى اللسان مادة (هشش) : " الهش والهشيش من كل شىء ما فيه رخاوة ولين ، وشىء هش وهشيش " كما عبر عنها بعض المحدثين بأنها أكثر الحروف رخاوة . ينظر الأصوات اللغوية د / جبل ص ١٤٠ .

(٦) مقدمة العين ص٥٤ .

(٧) الغطمطة : التطام الأمواج ، وجمعه غطامط ، وغَطَامطه كثيرة :أصوات أمواجه إذا تلاطمت ، وذلك أنك تسمع نَغَمَة شبه غَطّ ونغمة شبه مَطّ ، ولم يبلغ أن يكون بينا فصيحا فلو ضاعفت واحدة من النغمتين قلت غطغط أو قلت مطمط لم يكن فى ذلك دليل على حكاية الصوتين فلما ألّفت بينهما فقلت غطمط استوعب المعنى فصار بمعنى المضاعف فتَمّ وحَسُن " اللسان مادة : غطم .

وأشباهها . وحكم على الحكايات المؤلفة بضربيها بأنها قليلة نادرة الكلمات وقال في ذلك : " وإن كانت الحكاية المؤلفة غير مُعَرَّاة من الحروف الذُّلق فلن يضر كانت فيها الهاء أو لا نحو : الغطمطمة وأشباهها ... فأمَّا المؤلفة فعلى ما وصفت لك وهو نزر قليل " (١) .

ثم تكلم بعد ذلك عن النوع الثاني من الحكايات وهو الحكاية المضاعفة وعرفها بأنها ما كان حرفا عجزيها مماثلي لحرفي صدرها ، وبَيَّن لنا أن ذلك بناء يستحسنه العرب ، وأنها تكون في الحروف الصحيحة والمعتلة وتأتي فيها الحروف الذُّلق والصتم ، وهذا النوع ينسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه ، ومثل لذلك بنحو : الصلصلة (٢) والزلزلة (٣) وأشباههما ، وعَلَّلَ لمثل هذه الحكاية صوتيا لتوهمهم في حسن الحركة ما يتوهمون في جَرْس الصوت .

١٣ - الخليل والأبجدية العربية :

تكلم الخليل عن عدد حروف الأبجدية العربية وقرر أنها تسعة وعشرون حرفاً ، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومخارج ، وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة ، وسبق لنا أن عللنا سِرَّ تسميته هذه الحروف بالهوائية أو الجوفية (٤) ، ثم تحدث عن الهمزة فقال : " وسُمِّيت جُوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مَدْرَجة من مدارج اللِّسَان ، ولا من مدارج الحلق ،

---

(١) مقدمة العين ص ٥٤ .

(٢) " صَلَّ اللجام : امتد صوته ، فإن توهمت ترجيع صوت قلت صلصل ، وتصلصل ، والليث : يُقَال صَلَّ اللجام إذا توهمت في صوته حكاية صوت صَلّ ، فإن توهمت ترجيعاً قلت : صلْصَلَ اللجام ، وكذا كل يابس يصلصل . وصلصلة اللجام : صوته إذا ضوعف " اللسان : مادة : صلل .

(٣) " والزَّلْزَلة والزِّلْزَال : تحريك الشيء ، وقد زَلْزَله زَلْزَلةً وزِلْزالاً " اللسان : مادة : زلل .

(٤) ص ٤٩١ : ٤٩٢ .

ولا من مدارج اللهاة ، إنما هى هاوية فى الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلاَّ الجَوْف "[1] ، فهو يقصد بذلك كما سبق أن ذكرنا حرية مرور الهواء حال النطق بها فلا يقف فى طريقها عائق ، وهذا هو معنى قوله " هوائية " " والهمزة فى الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه "[2] ، أمَّا قوله " جوفية " فهو يعنى أنها تخرج من أعمق موضع حدوث الصوت كما سبق أن قررنا [3] فهى من أقصى الحلق كما قرر هو بذلك عندما قال : " الهمزة صوت مهتوت فى أقصى الحلق ، فإذا رُفِّهَ عن الهمز ، كان نَفَساً يُحَوَّل إلى مخرج الهاء "[4] ، وقال فى موضع آخر : " وأمَّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف "[5] ، وقال ابن كَيْسان فيما حكى السيوطى : " سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة ، لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف ، لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء ، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثانى ، وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين ..."[6] فمن هذه النصوص يتبين لنا ما يأتى :

١ - نظرة الخليل إلى الهمزة وهى أنها من أقصى الحلق وهى الأعمق تليها الألف ثم الهاء ، وهذا الذى قرره الخليل عن الهمزة سار عليه تلميذه سيبويه عندما قرر أن الهمزة أيضا من أقصى الحلق فلقد قال : " فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف "[7] .

---

(١) مقدمة العين ص ٥٧ .
(٢) نفسه ص ٥٨
(٣) ص ٤٩١ .
(٤) اللسان مادة هتت .
(٥) مقدمة العين ص ٥٢ .
(٦) المزهر المجلد الأول ص ٩٠ .
(٧) الكتاب ٤/٤٣٣ .

٢ – أن الهمزة تخرج بِعَصْر وضغط كما هو صريح كلام الخليل عندما قال : " مهتوتة [١] مضغوطة [٢] " والهت هو الضغط والدفع الشديد للشيء حتى يتسيب أو يتهير ، والمقصود هنا أنها تخرج بعصر وضغط فى مخرجها .

٣ – أنها أعمق الحروف مخرجاً . وهذا الاستنتاج مأخوذ من مؤدى كلام الخليل عندما قال : " لم أبدأ (يعنى فى معجمه " العين " بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والحاء " [٣] ، وهذا الذى قرره الخليل وتلميذه سيبويه عن الهمزة وما جاء بعدهم من علماء اللغة القدامى سبقوا به ما قرره المحدثون عن الهمزة عندما قالوا : " أنها تخرج بالتقاء الغشاءين الصوتيين التقاء محكما يسد سبيل النفس المندفع من الرئة لأدائها . فهى حبسة مزمارية " [٤] ، فلقد عبَّر سيبويه عن زمير الجهر بقوله : " صوت الصدر عندما قال : " والهمزة نَبْرَة فى الصدر تُخْرج باجتهاد " [٥] فنبرة الصدر صوته [٦] ، " ولعل الخليل كان يعنى بقوله : إن الهمزة تخرج من " الجوف " ما عناه سيبويه بأنها تخرج من " الصدر " وهو أيضا ما عناه سيبويه وابن جنى حين ذكرا أن استمرار صوت المد حتى ينفذ ينقطع آخره فى موضع الهمزة [٧] فالذى فات القدماء هو التعبير الدقيق عن الحقيقة لا الحقيقة ذاتها " [٨] .

---

(١) " الهت : شبه العصر للصوت " اللسان مادة هتت .
(٢) " والضغط : عصر شيء إلى شيء " اللسان مادة ضغط . (٣) المزهر ٩٠/١ .
(٤) ينظر : الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ص ٨٩ ، وأصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ١٣٠ الطبعة الثالثة . (٥) الكتاب : ٥٤٨/٣ .
(٦) " ابن الأنبارى : النَّبْر عند العرب : " ارتفاع الصوت " اللسان مادة : نبر .
(٧) ينظر الكتاب ١٧٦/٤ ، وعبارة ابن جنى (سر صناعة الإعراب – هنداوى) " فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا حتى ينفذ ، فيفضى حسيراً إلى مخرج الهمزة ، وعبارة سيبويه " ... حتى ينقطع آخره فى موضع الهمزة .
(٨) ينظر : الأصوات اللغوية د / محمد حسن جبل ص ١٣٢ .

١٤ - الخليل ومخارج الأصوات :

المخارج جمع مخرج يقصد بمخرج الصوت : المكان الذى يغلق فيه مجرى هواء الصوت أو يُعَلق [١] ، ولقد سَمَّاها الخليل أيضا مدارج [٢] ، وأحيازاً [٣] ، كمازاد تلميذه سيبويه على ذلك بأن سماها مواضع [٤]، وزاد ابن جنى على ذلك بأن سمَّاها مقاطع [٥] .

ولقد تحدث الخليل عن مخارج الأصوات ، وبدأ حديثه بذكر الأصات مرتبة حسب خروجها من الجهاز الصوتى وجمع لكل حيز أصواته بادئا بأبعد الحروف مخرجاً معللاً لبدئه بحرف العين عندما قال : " ثم أبدأ بالهمزة ، لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف ، لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء ، لأنها مهموسة خفية لا صوتَ لها ، فنزلت إلى الحيز الثانى ، وفيه العين والحاء ، فوجدتُ العين أنصع الحرفين ، فابتدأت به ليكون أحسنَ فى التأليف " [٦] فنجد أن الخليل وصف العين بالنصاعة ، ونصاعتها متحققة فيها لما تتصف به من الطلاقة وضخامة الجرس كما وصفها نفسه عندما قال : " ولكن العين والقاف لا تدخلان فى بناء إلا حَسُنتاه ، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْساً " [٧] كما نجد أنه وصف العين بأنها أنصع من الحاء التى وصفها بأن فيها بُحة ولولاها لأشبهت العين لقرب مخرجها منها . فلقد قال :

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / فتحى الدابولى ص ٧٩ .
(٢) مقدمة العين ص ٥٧ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) الكتاب ٤/٤٣٦ ..
(٥) سر صناعة الإعراب ١/٦ .
(٦) المزهر ١/٩٠ .
(٧) مقدمة العين ص٥٣ .

" فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بُحَّة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين " [1] ، وبُحَّة الحاء حاصلة لها نتيجة تولدها باحتكاك الهواء بجدران الحلق وبخاصة فى أعلاه دون اللهاة وحولها [2] فهذا الاحتكاك يميز صوت الحاء بالبُحَّة الذى يحدث معه جفاف عند نطقها بخلاف العين التى تتميز بالرطوبة وهذا هو معنى قول الخليل : " ولولا بُحَّة فى الحاء لأشبهت العين " كما جعل الخليل الهاء من حيز العين والحاء ، واضعاً الثلاثة فى حيز واحد ، واصفاً الهاء " بالهتة " أو " الههة " فالهاء تشترك مع الحاء فى المخرج والصفات فهما من الحروف المهموسة المستفلة المنفتحة المصمتة إلا أن الهاء حرف خفى لخفة احتكاكها بجدران الحلق فلا تكاد تسمع إلا بواسطة اختلافها عما سبقها وتلاها من أصوات بخلاف صوت الحاء الذى يمتاز بالاحتكاك [3] مما جعل الخليل يقول عنها : " ولولا هَتَّة فى الهاء ، وقال مرة " هَهَّة " لأشبهت الحاء لِقُرب مخرج الهاء من الحاء " [4] ثم وضع الخاء والغين من حروف الحلق جاعلاً كُلُّهُنَّ حلقية ، وجعل القاف والكاف من اللهاة إلا أن الكاف أرفع حيث قال : " ثم القاف والكاف لهويتان ، والكاف أرفع " وقوله : " والكاف أرفع " [5] يقصد أنها أخرج أى أقرب إلى الخارج [6] ، وإذا نظرنا إلى عبارة تلميذه سيبويه لوجدناه يقول : " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل (يقصد أخرج) من موضع القاف من اللسان قليلا مما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف " [7] ، ولقد علق بعض علماء

---

(١) مقدمة العين ص ٥٧ .
(٢) ينظر : أصوات اللغة العربية الدكتور جبل ص ١٤٦ .
(٣) أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ١٤٠ ، ١٤٧ بتصرف يسير .
(٤) مقدمة العين ص ٥٧ .
(٥) نفسه ص٥٨ .
(٦) ينظر : أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل هامش رقم٢٦ .
(٧) الكتاب ٤/٤٣٣ .

اللغة المحدثون على ذلك بقوله : " وهذه عبارة أقرب إلى الدقة . فأقصى اللسان من بعد مخرج القاف هو ما عبرنا عنه بالمثلث الداخلى " [1] ، ولقد وضع الجيم والشين والضاد فى حيز واحد ، والصاد والسين والزاء فى حيز واحد ، والطاء والدال والتاء فى حيز واحد ، والظاء والذال والثاء فى حيز واحد ، والراء واللام والنون فى حيز واحد ، والفاء والباء والميم فى حيز واحد ، والألف والواو والياء فى حيز واحد ، وسبق أنه جعل الهمزة هوائية فلنستمع إليه يحدثنا عن كل ذلك : " قال الخليل فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بُحَّة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء ولولا هَنَّة فى الهاء ، وقال مرة " ههة " لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء ، فهذه ثلاثة أحرف فى حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الحاء والغَيْن فى حَيِّز واحد كُلُّهن حلقية ، ثم القاف والكاف لهويتان ، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد فى حيز واحد ، ثم الصَّاد والسين والزاء فى حيز احد ، ثم الطاء والدال والتاء فى حيز واحد ، ثم الظاء والذال والثاء فى حيز واحد ، ثم الراء واللام والنون فى حيز واحد ، ثم الفاء والباء والميم فى حيز واحد والهمزة فى الهواء لم يكن لها حَيِّز تنسب إليه " [2] . ثم بدأ يفصل ذلك ويذكر اسم الحيز الذى تخرج منه كل مجموعة من الأصوات وذكر لكل منها لَقَباً على النحو التالى :

١- الأصوات الحلقية هى العين والحاء والهاء والخاء والغين معللاً تسميتها بالحلقية لأن مبدأها من الحلق وبالمقارنة بين ما ذكره الخليل ، وما قال به علم اللغة الحديث عن الأصوات الحلقية إذ هى موزعة عند المحدثين [3] بين أقصى الحلق ووسطه وأدناه على حد ما ذكر عند الخليل وسار عليه تلميذه سيبويه .

---

(١) أصوات اللغة العربية هامش رقم ٢٦٥ .
(٢) مقدمة العين ص ٥٧ : ٥٨ .
(٣) ينظر الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ص ٨٧ .

ولقد خالف بعض المحدثين ما قال به الخليل وتلميذه سيبويه بأن الغين الخاء من أدنى الحلق للفم ، وقالوا بأن الخاء والغين والقاف من اللهاة . [1]

ولقد علّل الدكتور كمال بشر لصنيع القدماء لمنطقة الحلق بقوله : " لعلهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التى نسميها نحن اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك ، أو بعبارة أخرى ، ربما أطلقوا المصطلح (الحلق) على تلك المنطق ة الكبيرة التى تشمل : ١ - الحنجرة . ٢ - الحلق . ٣ - وأقصى الحنك ، على ضرب من التوسع والمجاز " . [2]

٢ - الأصوات اللهوية : وهى القاف والكاف لأن مبدأهما من اللهاة [3] فلقد اعتبر الخليل القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع من القاف يقصد - كما سبق - أن الكاف أخرج أى أقرب إلى الخارج ولقد وضح الشيخ محمد مكى نصر مخرج كل منهما بقوله : " ما بين أقصى اللسان يعنى أبعده مما يلى الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، وما بين أقصى اللسان بعد مخرج القاف وما يحاذيه من الحنك الأعلى يخرج منها الكاف فمخرج الكاف أقرب إلى مقدم الفم من مخرج القاف وأسفل منه قليلاً [4] ، وذوق الصوتين يؤكد ما قاله فإنك إذا وقفت على الكاف والقاف نحو : اك . اق . تجد القاف أقرب إلى الحلق والكاف أبعد منه " . [5]

وما ذكره الأقدمون عن القاف يتفق تماماً مع ماذكره المحدثون من أنها من اللهاة .

---

(١) ينظر : أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ٤٩ ، وعلم اللغة العام الأصوات ص ١٢٣ .
(٢) علم اللغة العام الأصوات د / كمال بشر ص ١٢٣ .
(٣) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٤) نهاية القول المفيد ص ٣٤ .
(٥) نفسه : المرجع والصفحة .

أما بالنسبة للكاف عند المحدثين فإنها " تخرج بالتقاء متن اللسان – عند نهاية الثلث الداخلى منه – بما فوقه من الحنك الصلب – أى بعد موضع الكاف الفارسية من اللسان والحنك " . (١)

٣ – الأصوات الشجرية : وهى الجيم والشين والضاد لأن مبدأها كما قال الخليل من شجر الفم أى مفرج الفم (٢) وهو منفتحه أى وسط اللسان وما فوقه من الحنك (٣) الأعلى ، ونجد أن سيبويه جعل الياء مكان الضاد فى مجموعة وسط اللسان ، وجعل الضاد من أول حافة اللسان حيث قال : " ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مُخرج الجيم والشين والياء. ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مُخْرج الضاد (٤) وكذا فعل ابن جنى إلا أنه زاد فى مخرج الضاد قوله : " إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر ". (٥)

وإذا وازنا بين ما قاله الخليل عن الحروف الشجرية وما قرره المحدثون : نجد أن المحدثين اتفقوا مع ما قاله الخليل عن الجيم ، وما قاله سيبويه عن الياء حيث قالوا عن الياء الصامتة والجيم أنهما " يخرجان من وسط اللسان ومقدمه مع ما يقابله من الحنك الأعلى " (٦) ، أما ما قاله الأقدمون عن الشين أنها من وسط اللسان فقد خالفهم المحدثون فى ذلك حيث عدوها من حروف طرف اللسان وقالوا إنها " تخرج من بين حافة مقدم اللسان وبين لثة الثنيين وصفحتيهما " . (٧)

---

(١) أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ١٧٢ .
(٢) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٣) نهاية القول المفيد ص ٣٤ .
(٤) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(٥) سر صناعة الإعراب ١/٤٧ .
(٦) أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص١٧٥ .
(٧) أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص١٨٨ .

أما عن " الضاد " فقد عَدَّها الخليل من شجر الفم مع الشين والجيم [1] ، أما سيبويه فقد اتفق مع المحدثين فى جعل " الشين " من بين حافتى اللسان – أو إحداهما – وبين ما يحانيهما من الأضراس العليا [2] وكذا قال ابن جنى [3] .

بقى مسألة وصف الخليل لهذه المجموعة بالشجرية ، أو المجموعة السابقة باللهوية فلقد برره بعض المحدثين عندما قالوا : " وبعض هذه المصطلحات على كل حال له ما يبرره ، ويمكن أن يستغل فى الدراسة الصوتية الحديثة . فإذا سميت لنا حروف أقصى الفم كالقاف والكاف والجيم القاهرية الخالية من التعطيش بالأصوات اللهوية نسبة إلى اللهاة فلا بأس بهذه التسمية ، وهى تغنينا حينئذ عن المصطلح الذى ابتكره بعض الدارسين الآن حين سماها بالأصوات الطبقية ، دون أن يكون لكلمة " الطبق " أى معنى يتصل بأجزاء الفم . وكذلك الشأن فى مصطلحهم " الشجرية " الذى يتضمن أصوات وسط الحنك كالجيم الفصيحة ، أو الجيم الشامية الكثيرة التعطيش وكالشين " [4] .

٣ – الأصوات الأسلية [5] وهى الصاد والسين والزاى لأن مبدأهما من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان [6] فالخليل قال : إنهن أسَلِيات ، وقال سيبويه : إنهن يخرجن من بين طرف اللسان وفويق الثنايا [7] ، وقد تبعه ابن جنى

---

(١) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٢) أصوات اللغة العربية ص ١٩٤ .
(٣) سر صناعة الإعراب ٤٧/١ .
(٤) الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ص ١٠٧ .
(٥) " أسَلَةُ اللسان : طرف شباته إلى مستدقه . ومنه قيل للصاد والزاى والسين أسَلِية ، لأن مبداها من أسَلَة اللسان ، وهو مُستَدق طرفه " اللسان مادة أسل .
(٦) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٧) الكتاب ٤٣٣/٤ .

عندما قال : : " ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاى والسين " [1] وما قاله الأقدمون وعلى رأسهم الخليل عن الأصوات الأسلية يتفق تماماً مع ما قاله علماء اللغة المحدثون فلقد قال الدكتور إبراهيم أنيس عن السين والزاى والصاد " إننا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسَلية " [2] .

٥ - الأصوات النطعية وهى الطاء والتاء والدال نِطعية لأن مبدأها من نِطْع [3] الغار الأعلى [4] ، فلقد قال الخليل عن الطاء وأختيها إنها نِطعية ولعله يقصد بذلك ما قرره سيبويه عندما قال : " ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخْرج الطاء والدال والتاء " ، وهذا الذى ذكره الأقدمون يتفق مع ما قال به المحدثون عن هذه الأصوات فلقد قال الدكتور محمد حسن جبل عن الطاء والدال والتاء : " ويخرجن بالتقاء طرف اللسان بمقدم الحنك بين أصول الثنايا العليا وحافة النُّطع [5] لكن من المحدثين من اعترض على وصف هذه الأصوات بالنطعية عندما قال : " أما تسميتهم " الدال والطاء والتاء " بالأصوات النطعية فيبدو أن هذا المصطلح قد جانبه التوفيق ، لأن النطع كما شرحته المعاجم وكما يفهم من كلام هؤلاء العلماء - هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا ، فيقول الفيروزبادى فى معجمه : " إن النُّطع كعِنَب ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتحزيز " وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل

---

(١) سر صناعة الإعراب ٤٧/١ .
(٢) الأصوات اللغوية ص ٧٤ ، وكذا أصوات اللغة العربية د / محمد جبل ص ١٩٠ .
(٣) " والنُّطع والنِّطَع والنِّطُع والنُّطَعة : ما ظهر من غار الفم العلى وهى الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز " اللسان : نطع .
(٤) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٥) أصوات اللغة العربية ص ٢١٦ .

بأصول الثنايا بل ومعظم الثنايا من الداخل فهى أصوات أسنانية لثوية . ولو قد وضعوا هذا المصطلح للام والراء والنون لكانوا أقرب إلى الصواب " . [1]

لكننا نقول : كون طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا بل ومعظم الثنايا من الداخل والنطع كما هو معروف فى المعاجم أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا وهذا القرب من أصول الثنايا مسوغ للقدماء بوصفها بأنها نطعية نتيجة هذا التقارب ، يقول الدكتور الصالح : " ومن هنا جاء اشتقاقهم ألقاب الحروف من مخارجها لا صفاتها وكل مجموعة من الحروف تشترك فى لقب لتقاربها فى المخرج " . [2]

كما قال بعض المحدثين : " ويكفيهم فخراً أنهم وصلوا إلى هذا التحديد دن أن تسعفهم الآلات أو التجارب " [3] .

٦ - الأصوات اللثوية : وهى الظاء والذال والثاء ، لأن مبدأهما من اللثة [4] . فالخليل يرى أنها من اللثة ، وعبارة سيبويه " مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء " [5] ، بهذا قال ابن جنى [6] وعبارة الشيخ محمد مكى : " ما بين ظهر اللسان مما يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العليين ويخرج منه ثلاثة أحرف الظاء فالذال المعجمتان فالثاء المثلثة " [7] ، وماذكره المحدثون عن هذه الأصوات يتفق تماماً مع ما قاله الخليل ومن بعده من الأقدمين حيث قالوا :

---

(١) الأصوات اللغوية د / ابراهيم أنيس ص ١٠٧ : ١٠٨ .
(٢) دراسات فى فقه اللغة ص ٢٧٨ .
(٣) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال ص ١٥٨ .
(٤) " اللثة واللثة من اللثاء ، لحم على أصل الأسنان " اللسان : مادة لثى .
(٥) الكتاب ٤/٤٣٣ .
(٦) ٤٧/١ سر صناعة الإعراب .
(٧) نهاية القول المفيد ص ٣٦ .

" ويخرجن – أى الظاء والذال والثاء – بامتدادطرف اللسان تحت أطراف الثنايا العليا وخروج الهواء من جانبى مقدمة اللسان التى لم تدخل تحت الثنايا ومما بين الثنايا واللسان من مسارب " (١) .

٧ – الأصوات الذلقية وهى الراء واللام والنون لأن مبدأهما من ذلق (٢) اللسان (٣) أى طرفه ، فالخليل قد جعل هذه الحروف من طرف اللسان مطلقا ، لكننا وجدنا سيبويه فصل القول فى ذلك حيث قال : " من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء " (٤) . فنحن نلاحظ أنها كلها مخارج متقاربة ولقد تبعه فى ذلك ابن الجزرى (٥) ، وعبارة الشيخ محمد مكى : " ما بين رأس اللسان وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين ويخرج منه النون المظهرة . قال الملاعلى جعلوا مخرج النون من طرف اللسان وهو رأسه مع ما يليه من اللثة مائلا إلى ما تحت اللام قليلا . وقيل

---

(١) أصوات اللغة العربية ص ٢٢٢ د / جبل ، وينظر : د / أنيس ص ٤٧ ، وعلم اللغة العام الأصوات د / كمال بشر ص ١١٨ .

(٢) " الحروف الذُّلق : حروف طرف اللسان . التهذيب : الحروف الذُّلق : الراء واللام والنون ، سميت ذُلقاً لأن مخارجها من طرف اللسان . وذلق كل شيء وذَلْقه : طرفه . ابن سيده : وحروف الذلاقة ستة : الراء واللام والنون والفاء والباء والميم لأنه يعتمد عليها بذُلق اللسان ، وهو صدره وطرفه ، وقيل : هى حروف طرف اللسان ، الشَّفَة ، وهى الحروف الذُّلق ، الواحد أذلق ، ثلاثة منها ذولقية : وهى الفاء والباء والميم ، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة فى المنطق إنما هى بطرف أسلة اللسان والشفتين ، وهما مدرجتا هذه الحروف الستة " اللسان مادة : ذلق .

(٣) مقدمة العين ص ٥٨ .

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٥) ينظر : النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/٢٠٠ ط دار الكتاب العربى .

فوقها أى قليلاً ومخرجه أضيق من مخرج اللام . قال المرعشى : ومن جعلها فوق اللام يقدمها فى الترتيب على اللام ... ما بين رأس اللسان مع ظهره مما يلى رأسه وما يحذيهما من لثة الثنيتين العليين أيضا ويخرج منه الراء " . (١)

ولا خلاف بين القدماء والمحدثين فى مخرج هذه الحروف (٢) . ولا فى وصفها بالذلقية ، يقول الدكتور أنيس: "لقد سمى بعض القدماء هذه الأصوات الثلاثة - يقصد اللام ، الراء، النون - بالأصوات الذلقية ... ولاشك أن المؤلفين القدماء قد أحسوا بالعلاقة الصوتية بين هذه الأصوات فجمعوها تحت اسم واحد أياً كان هذا الاسم . وكذلك المحدثون من علماء الأصوات اللغوية يرون وجه شبه كبير بين هذه الأصوات الثلاثة فلا بأس إذن من أن نعدها مجموعة صوتية متميزة " (٣) .

ويقول الدكتور جبل : " والحروف التى يبدأ خروجها من ذَلَق اللسان ثلاثة اللام والراء والنون . وهى تتميز بخفة تولدها وسلاسته ، ولذا توصف هى أنفسها بأنها ذُلق أى سلسلة الخروج (تنزلق فى خروجها) ومن هنا ضمت إليها تحت هذه الصفة ثلاثة حروف سهلة الخروج وهى الفاء والباء والميم " (٤) .

٨ - الحروف الشفوية أو الشفهية : وهى الفاء والباء والميم ، وذلك " لأن مبدأها من الشفة " (٥) . ولقد وضح سيبويه ذلك عندما قال : " ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء " (٦) فهى تخرج من الشفة مع الأسنان كما يقول المحدثون . (٧)

---

(١) نهاية القول المفيد ص ٣٤ .
(٢) ينظر : أصوات اللغة العربية د / محمد جبل ص ٢٠٧ : ٢١٢ .
(٣) الأصوات اللغوية ص ٦٣ .
(٤) أصوات اللغة العربية ص ٢٠٨ .
(٥) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٦) الكتاب ٤/٤٣٢ .
(٧) أصوات اللغة العربية د / جبل ص ٢٢٦ والأصوات اللغوية د / أنيس ص ٤٦ .

أما الباء والميم فالقدماء والمحدثون متفقون فى مخرجيهما من الشفتين . جاء فى الكتاب : " ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو " [1] . والمحدثون على أن الباء والميم من الأصوات الشفوية . [2]

وهذه الحروف الثلاثة تمتاز بالخفة ، ولذلك ضمت إلى حروف الذلاقة . يقول الخليل : " فلما ذلقت الحروف الستة ، ومَذَل بهن اللسان وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام ، فليس شىء من بناء الخماسى التام يَعْرى منها أو من بعضها " [3] .

٩ – الحروف الهوائية : وهى الياء والواو والألف والهمزة سَمَّاها الخليل هوائية ، وعلق على تلك التسمية بقوله : " لأنها لا يتعلق بها شىء " . [4]

سَمَّى سيبويه الواو ، والياء باللينة ، وعلل لذلك بقوله : " لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما " [5] أى أن الصوت يخرج معهما من مخرجهما بسهولة وعدم كلفة على اللسان . وجعل سيبويه " الألف " أشد امتداداً وأوسع مخرجاً وقال فى ذلك : " ومنها الهاوى : وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو ، لأنك قد تضم شفتيك في الواو ، وترفع فى الياء لسانك قِبَل الحنك ، وهى الألف " [6] . كما أطلق سيبويه على الحروف الثلاثة " الخفية " يقول : " وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها ، وأخفاهُنَّ وأوسعهن مُخْرجاً : الألف ، ثم الياء ، ثم الواو " [7] .

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٣ .
(٢) الأصوات اللغوية ص ٤٥ ، أصوات اللغة العربية د / جبل ٢٢٨ ، ٢٣٠ .
(٣) مقدمة العين ص ٥٢ .
(٤) مقدمة العين ص ٥٨ .
(٥) الكتاب ٤/٤٣٥ .
(٦) نفسه ٤/٤٣٦ .
(٧) نفسه ص ٤٣٦ .

ولقد وصف الشيخ محمد مكى نصر الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما بأنهما حرفا لين ومد ، جعل اللين صفة لازمة لهما فقال : " واللين : إخراج الحرف بعدم كلفة على اللسان وهو صفة لازمة للواو والياء التحتية الساكنتين المفتوح ما قبلهما نحو خوف وبيت فهما حرفا لين بلا مدّ – فلا مَدَّ عليهما وصلا ويجوز مدهما وقفاً إذا وقع بعدهما ساكن كخوف وبيت " . (١)

ولقد أطلق عليها المحدثون الحركات الطويلة ، " الحركات نوعان رئيسيان : حركات طويلة وهى حروف المد ألف المد وواو المد وياء المد .... " (٢) .

١٥ – الخليل والأوجه التي تتصرف عليها الكلمة العربية :

ذكر الخليل وجوه تصاريف الألفاظ الثنائية ، والثلاثية ، والرباعية ، والخماسية . وبين أن الثنائى يتصرف على وجهين ، ومثّل له باللفظين : قَدْ ، شَدْ ، وذكر أنهما يتصرفان على وجه آخر وهو : دَقْ ، دَشْ .

كما بَيَّن أن الثلاثى يتصرف على ستة أوجه وتسمى تصرفاته " مَسْدُوسة " ، وهذه الأوجه الستة ناتجة عن ضرب الثلاثة أحرف فى صورتى البناء الثنائى .

ومثل له بـ : ضرب ، ضبر ، برض ، بضر ، رضب ، ربض .

كما بَيَّن أن الرباعى يتصرف على أربعة وعشرين وجهاً ، وتنتج نتيجة ضرب حروفه الأربعة فى وجوه الثلاثى الصحيح وهى ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجهاً ، وذكر أنه يكتب مستعملها ويلغى مهملها ومثل له بـ : عبقر ، عقرب ، عبرق ، عقبر ، عرقب ، عريق ، قعرب ، قبعر ، قبرع ، قرعب ، قربع ، رعقب ، رعبق ، رقعب ، رقبع ، ربقع ، ربعق ، بعقر ، بعرق ، بقعر ، بقرع ، برعق ، برقع .

(١) نهاية القول المفيد ص ٥٦ .
(٢) أصوات اللغة العربية د / جبل ص ٢٣٧ .

ثم ذكر أن الخماسي يتصرف على مئة وعشرين وجهاً ، وذلك أن حروفه وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون حرفاً فتصير مئة وعشرين وجهاً يستعمل أقله ويلغى أكثره .

وذكر منها : سفرجل ، سفرلج ، سنجرل ، سجفرل ، سجرلف ، سرفجل ، سرجفل ، سلجرف ، سلرفج ، سلفرج ، سجفلر ، سرفلج ، سجفرل ، سلفجر ، سرجلف ، سجرلف ، سرلجف ، سجلفر ، وهكذا " . (١)

ويلاحظ على هذا الحصر ما يلي :

١ - أن الخليل حصر اللغة بطريقة نظرية عقلية رياضية ، أما كونه نظرى يعني أنه حصر اللغة بطريقة افتراضية وليست من الواقع الفعلي للكلمات المنطوقة المستعملة في كلام العرب ومن خلال ألسنتهم ، ويدخل في ذلك المهمل ، وإن كان قد أشار إلى المهمل عندما قال بعد تصرفات الخماسي : يُسْتَعمل أقله ويُلْغَى أكثره " (٢) .

ولقد استعمل عقله الرياضي الفذ حيث استعمل طريقة حسابية والتي تعرف عند علماء الحساب بطريقة التوفيق والتبديل ، ويشرح ابن خلدون هذه الطريقة التي اتبعها الخليل بقوله : " تأتّى له حصر تراكيب حروف المعجم بوجوه عديدة حاصرة ، وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالي من واحد إلى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ، ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ، ثم الثالث ، والرابع ، ثم يؤخذ السابع والعشرون

---

(١) مقدمة العين ص ٥٩ .
(٢) نفسه .

مع الثامن والعشرين فيكون واحداً ، فتكون كلها أعداداً على توالى العدد من واحد إلى سبعة وعشرين فتجمع كما هى بالعمل المعروف عند أهل الحساب ، ثم تضاعف لأجل قلب الثنائى ، لأن التقديم والتأخير بين الحروف معتبر فى التركيب ، فيكون الخارج جملة الثنائيات فيما يجمع من واحدإلى ستة وعشرين ، لأن كل ثنائية يزيد عليها حرفاً فتكون ثلاثية ، فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهى ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالى العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج فى ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم ، وكذلك فى الرباعى والخماسى ، فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه "[1] .

---

(١) المقدمة ص ٥٤٨ .

خاتمة البحث

١ – نستطيع أن نقول بأن ما جاء به الخليل من معلومات فى علم الأصوات يعتبر الأساس الذى سار عليه علماء اللغة القدامى من بعده كسيبويه وغيره حيث شرحوا لنا هذا التراث ، وبينوه لنا .

٢ – تأصيل الخليل لمبدأ الخفة فى بناء الكلمة العربية وتقريره بأنه لا يبتدأ بالساكن ، وأيضا تأصيله رجوع الكلمات فى الأسماء والأفعال إلى ثلاثة أحرف فى أصل الوضع – هو ما سار عليه معظم علماء اللغة فى العصر الحديث .

٣ – حديثه عن صفات الحروف كالذلقية والشفوية جاء مطابقاً تماماً لما قال به علماء اللغة المحدثون .

٤ – تحديده لمخارج الحروف يتفق مع ما قال به المحدثون فى الأعم الأغلب .

هذا والله الحمد على ما أنعم ،

إعـــداد

دكتور/ أحمد فؤاد محمود محمد عمران

مدرس أصـــــول اللغـــــــة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

الإسكندرية

أهم المراجع

١ – الإبدال لأبى الطيب اللغوى تحقيق الأستاذ / عز الدين التنوخى دمشق ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

٢ – الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – مكتبة دار التراث القاهرة .

٣ – أسباب حدوث إلحرف – ابن سينا – طمكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

٤ – الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ط الخامسة ١٩٧٩ مكتبة الأنجلو المصرية .

٥ – أصوات اللغة العربية د / عبد الرحمن أيوب ط دار التأليف – الطبعة الأولى .

٦ – أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار حامد هلال (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

٧ – أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل – الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

٨ – إعجاز القرآن للباقلانى تحقيق الأستاذ / السيد أحمد صقر ط الرابعة دار المعارف .

٩ – إنباه الرواة على أنباه النحاة لعلى بن يوسف القفطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة سنة ١٩٥٠م – ١٩٥٥م .

١٠ – البحث اللغوى عند العرب د / أحمد مختار عمر – الطبعة الرابعة .

١١ – بغية الوعاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة سنة ١٩٦٤/١٩٦٥م مطبعة عيسى الحلبى وشركاه .

١٢ – البيان التبيين للجاحظ تحقيق وشرح الأستاذ / حسن السندوني الطبعة الثانية – المطبعة الرحمانية بمصر .

١٣ – في التطور اللغوي د / عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

١٤ – تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – دراسة وتحقيق الأستاذ علي شيري (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) .

١٥ – التطور النحوي للغة العربية برجشتراسر ترجمة د / رمضان عبد التواب .

١٦ – التعريفات للجرجاني – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٧ – تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط الثانية ١٩٩٢ دار الحديث .

١٨ – الجمهرة لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) تحقيق د / رمزي منير بعلبكي ط دار العلم للملايين .

١٩ – الخصائص لابن جني ط دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

٢٠ – خصائص اللغة العربية د / محمد حسن جبل دار الفكر العربي – القاهرة .

٢١ – دراسات في التجويد والأصوات اللغوية د / عبد الحميد أبو سكين .

٢٢ – دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس . د / عبد الصبور شاهين ، د / علي حلمي موسى . مطبوعات جامعة الكويت .

٢٣ – الرعاية لمكي بن أبي طالب .

٢٤ – سر صناعة الإعراب لابن جني تحقيق د/ حسن هنداوي – دار القلم دمشق .

٢٥ – شرح قافية ابن الحاجب ط دار الكتب العلمية .

٢٦ – الصحاح للجوهرى(ت ٣٩٣ هـ) تحقيق الاستاذ / أحمد عبد الغفار عطار ط : دار العلم .

٢٧ – الصوت اللغوى د / أحمد مختار عمر . عالم الكتب – القاهرة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٢٨ – علم اللغة العام الأصوات د/ كمال بشر . دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .

٢٩ – علم اللغة د / محمود السعران . دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

٣٠ – العين للخليل بن أحمد الفراهيدى تحقيق د / ابراهيم السامرائى ، دكتور مهدى المخزومى .

٣١ – الفكر الصوتى فى التراث العربى د / محمد عزت القناوى – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م دار الطباعة المحمدية – القاهرة .

٣٢ – الفهرست لابن النديم – نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

٣٣ – الكتاب لسيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون – عالم الكتب بيروت لبنان .

٣٤ – لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) ط : دار المعارف ١٩٨١م .

٣٥ – المزهر للسيوطى تحقيق محمد جاد المولى ، على البجاوى ، محمد أبو الفضل . دارإحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى .

٣٦ – معالم الأصوات العربية د/ صلاح القناوى ، د/ عبد المنعم عبد الله محمد – المطبعة الفيصلية الطبعة الأولى .

٣٧ – المعجم العربى نشأته وتطوره د / حسين نصار – دار مصر للطباعة الفجالة القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٦٨م .

٣٨ – المعجم الوسيط ، ط(٢) ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٣٩ – المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية للأب مرمرجى الدومنكى القاهرة ١٩٣٧م .

٤٠ – الممتع فى التصريف لابن عصفور تحقيق د / فخر الدين قباوة ط الرابعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، نشر دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان .

٤١ – المفصل فى علم العربية للزمخشرى طبعة بيروت .

٤٢ – المقتضب (فى النحو) صنعة أبى العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة – لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٣٩٩هـ .

٤٣ – مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / عبد الفتاح البركاوى – مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .

٤٤ – مقدمة فى أصوات اللغة العربية د / فتحى أنور الدابولى الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م مطبعة الأمانة – شبرا – مصر .

٤٥ – النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) – دار الكتاب العربى .

٤٦ – نهاية القول المفيد – الشيخ محمد مكى نصر – مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٤٩هـ .

المحتـــــوى

الموضـــــوع	رقم الصفحة
– المقدمة	٤٥٣ – ٤٥٦
– تمهيد :	٤٥٧ – ٤٨٢
– علم الأصوات ومدى الحاجة إليه .	٤٥٧ – ٤٦٠
– نبذة عن نشأة الدراسات الصوتية .	٤٦١ – ٤٦٣
– البحث الصوتى عند العرب .	٤٦٣ – ٤٦٣
– الاتجاه غير التخصصى .	٤٦٣ – ٤٦٣
– معالجة الدراسة الصوتية من خلال علوم النحو .	٤٦٤ – ٤٦٧
– المعجميون وجهودهم الصوتية .	٤٦٧ – ٤٦٨
– علماء القراءات والتجويد وجهودهم الصوتية .	٤٦٨ – ٤٦٩
– البلاغيون وجهودهم الصوتية .	٤٦٩ – ٤٧٠
– أصحاب الموسوعات الأدبية وجهودهم الصوتية .	٤٧٠ – ٤٧٣
– الاتجاه التخصصى .	٤٧٣ – ٤٨٢
– المباحث الصوتية فى مقدمة العين للخليل بن أحمد – نبذة عن نشأته .	٤٨٣ – ٤٨٤
– طريقة الخليل فى تحديد مخارج الصوت .	٤٨٤ – ٤٨٨
– بين ثلاثية الأصول وثنائيتها .	٤٨٨ – ٤٩٠
– ترتيبه للحروف ترتيبا صوتيا .	٤٩٠ – ٤٩٢

الموضـــــوع	رقم الصفحة
- الخليل وتركيب الكلمة العربية .	٤٩٣ - ٤٩٦
- الخليل ومسألة البدء بالساكن .	٤٩٦ - ٤٩٧
- الخليل ورأيه فى الثنائى إذا أريد به أن يكون اسما .	٤٩٧ - ٤٩٨
- الخليل والحروف الذلقية والشفوية .	٤٩٩ - ٥٠٠
- الخليل وأسرار حروف الذلاقة .	٥٠١ - ٥٠٢
- الخليل وخصيصة حسن التأليف فى العربية .	٥٠٣ - ٥٠٥
- الخليل والحكايات الرباعيات .	٥٠٥ - ٥٠٧
- الخليل والأبجدية العربية .	٥٠٧ - ٥٠٩
- الخليل ومخارج الأصوات .	٥١٠ - ٥٢١
- الخليل والأوجه التى تتصرف عليها الكلمة العربية .	٥٢١ - ٥٢٣
- خاتمة البحث .	٥٢٤ - ٥٢٤
- أهم المراجع .	٥٢٥ - ٥٢٨
- المحتوى .	٥٢٩ - ٥٣٠